

١٩٧٣

مخافة الزيت

دفع الأول ١٣٩٣ / أبريل - مايو ١٩٧٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد الثالث المجلد الحادي والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - تنوع مجاًناً
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

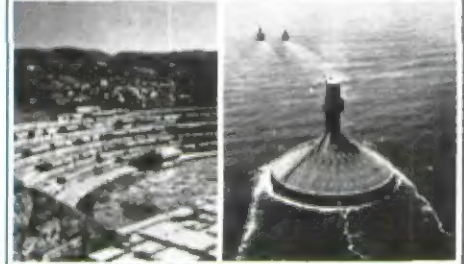
بحوث أدبية

- ٢ الاحتفال بالمولد النبوي في نظر الشريعة الإسلامية سليمان عبد العزيز آل سليمان
٤ علمتي الحياة (قصيدة) أنور العطار
١٠ المؤثرات في تكوين الشاعر أحمد الجندي
١٣ مجمع اللغة العربية رسالة علم وعرفان سعيد زايد
٣٣ ابن خلدون العالم والمعلم والفيلسوف نجيب توفيق
٣٦ في الغربية (قصيدة) طاهر زمخشري
٣٧ في انتظار أمل (نص) صوفي عبد الله
٤٠ أخبار الكتب وكتب مهداة
٤١ عطل شخصية عربية لا مغربية عبد الرحمن صدقي
٤٣ الصحافة في الحجاز (من حصاد الكتب) أحمد عبد الفتاح عطار



بحوث علمية

- ٥ انجاز آبار الزيت في المياه العميقة فتحي أحمد يحيى
١٩ القلع برأي أو عمل مزية كبرى سمير شيخاني
٢١ النظرة الى العمل اليدوي وآثاره على تطوير القوى العاملة د. مدني عبد القادر علاقي



إستطلاعات مصورة

- ٢٥ جبل والقلعة نجاتي صدقي
٤٦ الكهوف الأثرية في كابادوشيا يعقوب سلام



الغالب على صورة الغد



- كل ما ينشر في "قافلة الزيت" يعتبر آراء الكتاب أنفسهم، ولا يمتد بالضرورة عن رأي "القافلة" أو عن إختصاصها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "القافلة" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل "القافلة" إلا المواضيع التي لا يسبق نشرها، وهي تؤثر تلقياً النسخة الأصلية مطبوعة على الآلة الكاتبة، ومنقحة.
- يتم تنسيق المواضيع في كل عدد وفقاً لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب أو أهمية الموضوع.
- تنقيح المقالات على النحو الذي تظهر فيه بحري عادة وتظهر في مقتضبها نهج "القافلة".

المدير العام: فيصل محمد البسام المدير المسؤول: عبد الله صالح الجمعة

رئيس التحرير: منصور مسديني المحرر المساعد: عوني ابوشك

قلعة جبيل الأثرية في لبنان تصافح مياه البحر الأبيض المتوسط ، راجع مقال (جبيل والقلعة) .
تصوير : خليل أبو النصر

الاحتفال بالمولد النبوي في نظر الشريعة الإسلامية

بقلم فضيلة الأستاذ سليمان عبد العزيز آل سلمان



ولا أصحاب القرون الثلاثة الذين سبقونا لكل خير وشهد لهم رسول الهداية عليه الصلاة والسلام بالخيرية . فهل كان صاحب اربل ومن تبعه أعلم وأهدى منهم ، وأعظم شكرا لله ، وأعرف برسالة ؟ اجمعت الأمة على أن أهل الصدر **قد** الأول هم أكمل الناس إيمانا واسلاما . ولا شك أن اجتماع الناس في زمان معين وبصفات مخصوصة تشبه الشعائر والعبادات المشروعة والتلبس بها معتقدين أن ذلك عبادة هو بدعة في الدين لم يأذن لها الله . وقد كان بعض الصحابة يتركون بعض المسنونات خشية أن تظن العامة أنها من الواجبات . ولعل بعض العامة يعتقدون وجوب الاحتفال والقيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم ومشروعيتها ويرون فيمن يتركهما أنه

وما يعج فيها من هو وصخب وطقوس وضرب الطبول ، ونحر الابل وذبح البقر والغنم ونصب الموائد المختلفة ، واشعال الشموع . وقد انتشرت هذه العادة وأدخل عليها ضروب من العادات والتقاليد واتخذها جمع غفير من المسلمين عبادة ، وحسنوها للعامة وتوسعوا في ذلك حتى شملت الكثير من أقطار العالم الاسلامي ، وأخذت تزدان بها البيوت والمساجد في شهر ربيع الأول كل عام ، وفي يوميه الحادي عشر والثاني عشر على وجه الخصوص ، معتقدين أن هذا العمل وهذا الصنيع هو من ابداء الشكر لله ان من على البشرية بهذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم . ولكن يقال لم يقم بهذا الشكر وهذا التعظيم أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة

لكن يكن الاحتفال بالمولد النبوي معروفا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . ولا في عهد الخلفاء الراشدين والسلف الصالح . والمشهور أن أول من أحدث هذا الاحتفال هو : أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي ابن بكتكين التركماني ، صاحب اربل ، في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس ، بعد أن ولي على اربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦ ست وثمانين وخمسمائة من الهجرة ، وكان ينفق على المولد ألوفاً كثيرة ، وتنصب له القباب ، وتزين بأنواع الزينة الفاخرة ، ويجتمع فيها من كل الطبقات لمزاولة ضروب الملاهي والأغاني . وكان الناس يتركون جميع أعمالهم في تلك الأيام وينقطعون للتفرج والدوران على هذه القباب

متهاون في أمر دينه ، أو أنه لا يحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا يعظمه ولا يوقره ، ولم يعلموا أن التعظيم الحقيقي والحب الحقيقي هو طاعته عليه السلام والنصح له ، واتباع شرعه ، واعزاز دينه ، وترسم خطاه ، والسير على نهجه ، وهذه ، ونبد ما يعترض رسالته ويبيدها عن صفائها ونقاها ، ويلبسها ألوانا من الشعائر والطقوس والعادات التي لا تمت الى تعاليمه وتشريعاته بصلة من الصلات . وكان السلف الصالح في صدر الاسلام أشد تمسكا بشرية الله وهدى نبيه عليه الصلاة والسلام ، وأحرص ممن جاء بعدهم تعظيما للنبي وانقيادا لأوامره يفدونه بأنفسهم وأموالهم ، ولم يؤثر عنهم أو عن أحد منهم أنه اتخذ شيئا من هذه الاحتفالات بمولد رسول البشر ، والتي بلغت مبلغ العبث واللهو وضياح الأوقات والأموال في العصور المتأخرة وضياح الدين فيها بين مظاهر التعظيم المظهري واللساني ، لا العملي ، وكثرت فيه الأقوال وقلت الأعمال

لا شك أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم وتبجيل ، وليس من التعظيم أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل وإن جاء ذلك بحسن نية ، فحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين . فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية ، وما زالوا يتدعون بقصد التعظيم وبحسن النية ، حتى صارت اديانهم غير ما جاءت به رسلكم . وقد أدرك ذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ادراكا تاما وعميقا ، فعضوا على سنة نبيهم وشرعية ربهم

بالتواجد ، وحملوها من كل دنس وتقليد ومن المظاهر العنوية . ولو تساهل سلفنا الصالح ، كما تساهل أهل الملل قبلهم وكما تساهل أتباعهم تبعاهم ، لو تساهل سلفنا كما تساهل هؤلاء لصاع أصل ديننا ، غير أن سلفنا الصالح حفظوا لنا الأصل وحرصوا على بقاءه نقيا صافيا سالما من شوائب البدع والشعائر التي أوحى بها استحسانات البشر وعقولهم .

السلامة ليحذر بالمسلم أن يستقي دينه من أصله ومن معينه الصافي ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين درجوا على نهجهم ، وأن يبين للمسلمين الأحداث والبدع ، وأن يحذرهم منها ومن التهاون بها ، وإن لا يلصق بالدين ما ليس منه . وقد نقل عن الامام مالك رضي الله عنه أنه قال : من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله سبحانه وتعالى يقول « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » فما لم يكن يومئذ ديننا لا يكون اليوم ديننا .

ومما لا ريب فيه أن خلط العبادات باحتفالات مشتملة على اللهو والزينة ، وجعل ذلك عملا مشروعا من قبيل الشعائر الدينية ، وإيهام العامة أن تلك العادات والعبادات المبتدعة في هيتها وتوقيتها أمور دينية مشروعة بهذه الصفة ، هو من التجني على شرعية الله ، والصاق الشوائب والعادات وما تسجته عقول البشر بها ، سواء وضع ذلك عن حسن قصد أو غير حسن قصد ونية . وما الكتب والرسائل التي كتبت عن المولد وما اشتملت عليه من أحاديث موضوعة ومنكرة

وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم في بعضها بما لا يليق به ، كالتغزل بجماله ونحو ذلك ، كل هذه تعطي المسلم الواعي الذي استقى إيمانه واسلامه من شرعية الله الخالصة الاصرار على سيرة السلف ، وتحفزه أن يستشعر أننا نحن المسلمين في ظروفنا الحاضرة التي تهددنا فيها التيارات الاحادية والمادية من كل جانب والغزو الاخلاقي يتفشى ويتشر اليوم في حياة المسلمين العامة والخاصة بصفة خطيرة ومخيفة ، جدير بنا والحالة هذه أن نطرح تلك الاخلاط والشوائب والتقاليد التي أدخلت من بعض المسلمين في الدين وحسبها الجم الغفير شرعة وعبادة وقربة وليس لها أصل في ديننا . وما أخرى المسلمين أن يرجعوا لصفاء الاسلام وتعاليمه ونبد المظاهر والشعائر التي ضاع فيها الشيء الكثير من أصول الاسلام وأسه بين تلك المظاهر والاحتفالات التي نحن في غنى عنها ، وأن ترسم خطوات الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده ، وأن تبدل الأقوال والشعائر الرنانة بالأعمال ، كما كان سلفنا الصالح يفعل . وما نتيجة ضعف المسلمين اليوم وذوبانهم في العالم وضياحهم وضياح حقوقهم وأوطانهم وفقدان عزتهم الا حينما انصرفوا عن صفاء العقيدة الاسلامية وتعاليمها السمحة ، ودب في الأمة التقليد واكتفت بالمظاهر دون الحقائق وبالأقوال دون الأعمال ، وانصرفت عن شرعية ربها وهدى نبيها عليه الصلاة والسلام « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »

سليمان عبد العزيز آل سليمان - الدمام

عَلِمْتَنِي الْحَيَاةَ

للشاعر الراحل انور العطار

البَشَاشَةُ

عَلِمْتَنِي أَنَّ الْبَشَاشَةَ نُورٌ
كَرَّمَ النَّفْسَ يَنْجِلِي فِي حَمَاهَا
إِنَّمَا الْجُودُ شِيمَةٌ لَا تُبَارَى
طَبَعَهُ الطَّبِيعُ قَدْ جَلَّاهُ انْطِلَاقُ

وَكِتَابٌ مِنَ النَّدَى مَسْطُورٌ
وَهِيَ عُنْوَانُهُ الْعَجِيبُ الْأَبِيرُ
لَيْسَ فِيهِ مَنْ لَا تَكْدِيرُ
وَجْهَهُ الْوَجْهَ قَدْ عَلَّاهُ الْحُبُورُ

الصَّفَاءُ

عَلِمْتَنِي أَنَّ الصَّفَاءَ انْتِهَابُ
يَتَّبَعُ الْبِشْرُ مِنْ فُؤَادِكَ تَبْعًا
فَتَاغْنِمُ الْعَيْشَ حِينَ يَقْبِلُ صَفَا
وَاحِيً لِلشَّدْوِ وَالرَّضَا وَالتَّسْلِي

وَإِغْتَامٌ ، وَلِلصَّفَاءِ ارْتِقَابُ
مَنْكَ وَرَّادُهُ وَمَنْكَ الشَّرَابُ
لَيْسَ فِيهِ رَتْقٌ وَلَا فِيهِ صَابُ
فَهِيَ أَقْصَى الْأَمَالِ وَهِيَ الطَّلَابُ

النَّيَّانُ

عَلِمْتَنِي الْحَيَاةُ أَنَّ النَّيَّانَ
تَتَخَفَّى الْأَرْزَاءُ فِي صَدْرِهِ الرَّحْمَ
هُوَ أَنْسُ السَّارِي إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ
وَهُوَ بُرْءُ الْمَجْرُوحِ إِنْ مَضَى الْجُرْمُ

يَنَانٍ مَا يَزْدَهِي بِهِ النَّيَّانُ
بِ وَتُطْنَوِي الْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ
بَلْ وَغَابَتْ فِي صَمْتِهَا الْأَكْوَانُ
حُ وَعَزَّ الْأَسَى وَجَارَ الزَّمَانُ

عِفَّةُ الْفَقْرِ

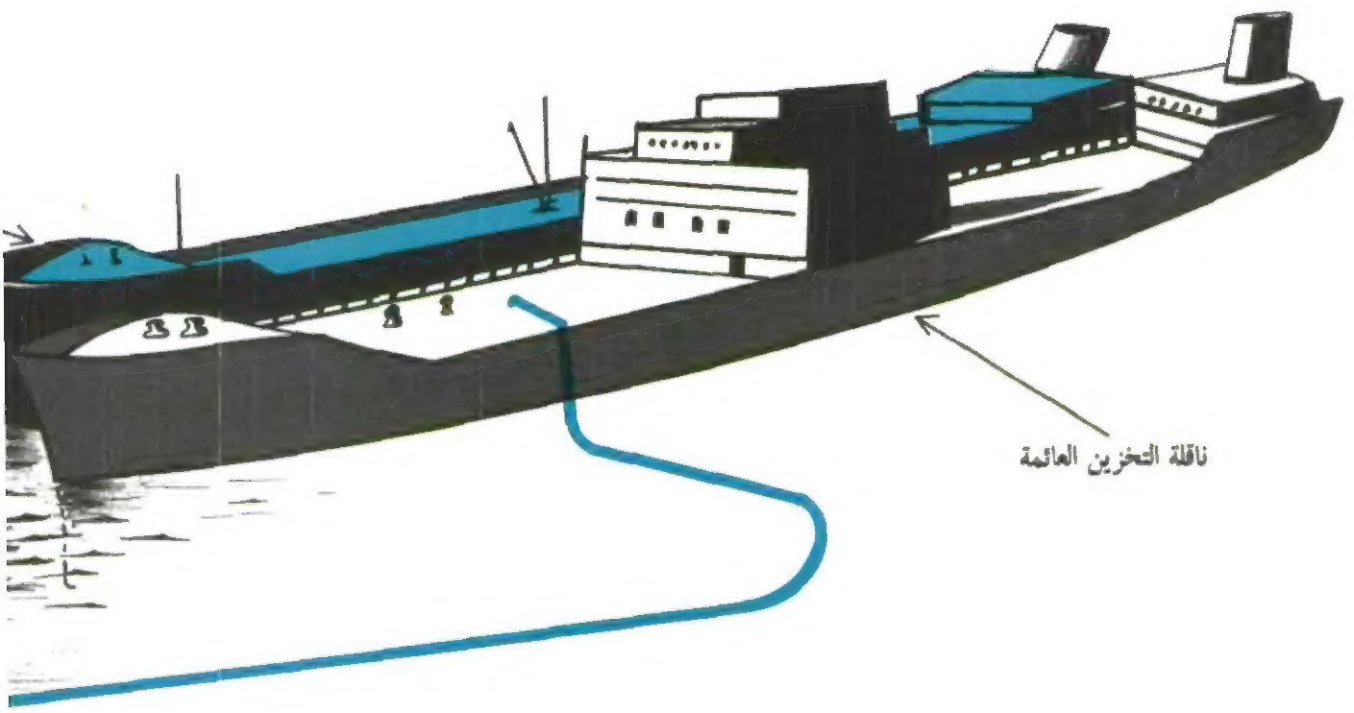
عَلِمْتَنِي الْحَيَاةُ أَنَّ مِثْلَ الْفَقْرِ
فِيهِ مِنْ عِزَّةِ الْعَزِيزِ شَوْنُ
سَرَبَلْتَنِي نَفْسِي بِأَرْذَلَةِ الْهَبِ
وَوَقَّتَنِي قَنَاعَتِي زُخْرُوفَ الْعَبِ

بِرْ غِنَى لَا يَشُوبُهُ الدَّهْرُ فَقْرُ
مَا هَذَا فِي كِتَابِ عُمْرِي حَصْرُ
بِرْ ، وَلِلصَّبْرِ حَيْثَمَا كَانَ نَصْرُ
شِرْ وَمَا مِثْلَهَا أَمَانُ وَذُخْرُ

الْقَرِيبُ

عَلِمْتَنِي أَنَّ الْقَرِيبَ هُوَ الرَّكَدُ
فِيهِ مَا أَشْتَهِي مِنَ الْعَبَقِ الطَّهْرِ
تَتَصَبَّأَنِي الْمَعَانِي الْأَبْيَا
يَتَكَرَّرُ اللَّفْظُ حِينَ يَشْرَبُهُ الْمَعْدُ

بِنِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ مَطَافِي
بِرْ وَمَا أُرْتَجِي مِنْ الْأَعْرَافِ
تُ قَتْمُشِي شَوْقًا إِلَيْهَا الْقَوَافِي
فِي قَيْصَفِ الْقَرِيبِ صَفْوُ السَّلَافِ



ناقلة التخزين العائمة

إنجاز آبار الزيت في المياه العميقة

بقلم المهندس قتيبي احمد مجي

مع كل تطور من أطوار صناعة الزيت ، تبرز دائماً وسائل فنية وأساليب متطورة تختص عن تقنية علمية حديثة . ونتيجة لنمو الطلب على الزيت ومشتقاته ، فقد أحدثت وسائل التنقيب وأساليبه المختلفة تطوراً وتحسناً بشكل ملحوظ حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم من تقنية وفعالية . ولعل من بين روائع التطور التي حققتها صناعة الزيت في المناطق المغمورة إقامة مصّبات بحرية ومرافق للإنتاج متكاملة وخزانات للزيت في قاع البحر كأول خطوة فريدة في نوعها تشهد لصناعة الزيت عبوراً نحو إنجازها الطويل .

يلتزم الظروف القائمة لإنجاز الآبار تحت سطح الماء في المناطق العميقة . وقد يلجأ رجال الزيت لدى تطوير حقل ما من الحقول في المناطق المغمورة العميقة المياه إلى استعمال منصات للانتاج يرافقها جهاز كامل لتجميع الزيت وفرض الغاز منه بالإضافة إلى إمكان إقامة بعض هذه المنشآت أو بعض أجزاء هذا الجهاز في قعر البحر تتركز على صخور صلبة .

إن عمليات الحفر في المناطق المغمورة يتم إنجازها عادة بأجهزة الحفر التي تثبت على الجزء العلوي من المنصة البحرية الضخمة التي قد يصل ارتفاعها إلى ٧٧٥ قدماً في مياه يصل عمقها إلى حوالي ٧٠٠ قدم، ووزنها نحو ٢٠٠٠٠ طن ، ومساحة جزئها العلوي الذي يجري من خلاله الحفر حوالي ١٥٠ قدماً مربعاً وطاً أربع قوائم

آبار للزيت في مياه خليج « سانتا برابرا » من ساحل كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تقام منشآت الانتاج في مياه يعدل عمقها ضعفي أو أربعة أضعاف عمق مياه أي بئر للزيت أو منصة للانتاج توجد اليوم في المناطق المغمورة . إن انتاج الزيت في المناطق العميقة المياه سيساعد ولا شك على مواصلة البحث والاستكشاف للوصول إلى مكامن جديدة للبترول لمواجهة الطلب المتنامي عليه بشكل هائل عاماً بعد عام .

إن التقنية العلمية المستخدمة في إنجاز آبار الزيت في المياه العميقة ليست بالجديدة ولكنها امتداد عملي للطرق والأساليب المستعملة منذ فترة طويلة من الزمن لانتاج الزيت من المياه الضحلة ، كما أن معدات الانتاج والخطوات التي تتخذ في عملية الانتاج قد تم تطويرها على نحو

أساليب التكنولوجيا الحديثة والأبحاث المستمرة التي تواكب صناعة الزيت سهلت للعلماء والمهندسين البحث عن الزيت في المناطق المغمورة وخصوصاً في المناطق ذات المياه العميقة ، حيث أن التصميم المعدل لعمليات انتاج الزيت من مثل هذه المناطق يتيح المجال واسعاً أمام البحث عن الزيت والغاز واستغلالهما في المياه العميقة .

وقد دلت النظريات العلمية والدراسات الجيولوجية والهندسية على أن هناك كميات هائلة من النفط ما زالت تكمن تحت قيعان المحيطات وفي المياه العميقة لم يجر استغلالها بعد .

واكتشاف الزيت في مناطق مغمورة تتراوح أعماقها ما بين ٧٠٠ و ١٥٠٠ قدم يتطلب مجهوداً خاصاً وعملاً دائماً ، كما هي الحال بالنسبة لإنجاز

وأما الجزء السفلي من هذه المنصة فيشمل عادة أجهزة الإنتاج ومولدات الطاقة الكهربائية وأجهزة التحكم في منشآت الإنتاج المغمورة تحت سطح الماء . وقد صممت هذه المنصات الضخمة بحيث تستطيع مقاومة الرياح الشديدة والعواصف الهوجاء والأمواج العاتية .

ويتكون « جهاز الإنتاج - Production System » المغمور تحت سطح الماء من عدد كبير من الآبار قد يصل أحيانا إلى أربعين بئرا ، ويتم إنجاز حفر هذه الآبار بأسلوب « الحفر المائل - Directional Drilling » حيث يتم وصل فوهات الآبار المغمورة تحت سطح الماء بجهاز الإنتاج المعد لذلك . وبعد ذلك يتدفق الزيت عبر خطوط الجريان إلى منصة الإنتاج العلوية . كما أن هناك مراكب وسفنا مجهزة بآلات التصوير التلفزيونية والأضواء الخاصة يلجأ إلى استعمالها تحت سطح الماء لمتابعة عمليات الإصلاح اللازمة لجهاز الإنتاج وذلك بانزال أجهزة الكترونية تدار من فوق سطح الماء إلى الأجزاء المعطوبة والمعلقة للكشف عن مواطنها .

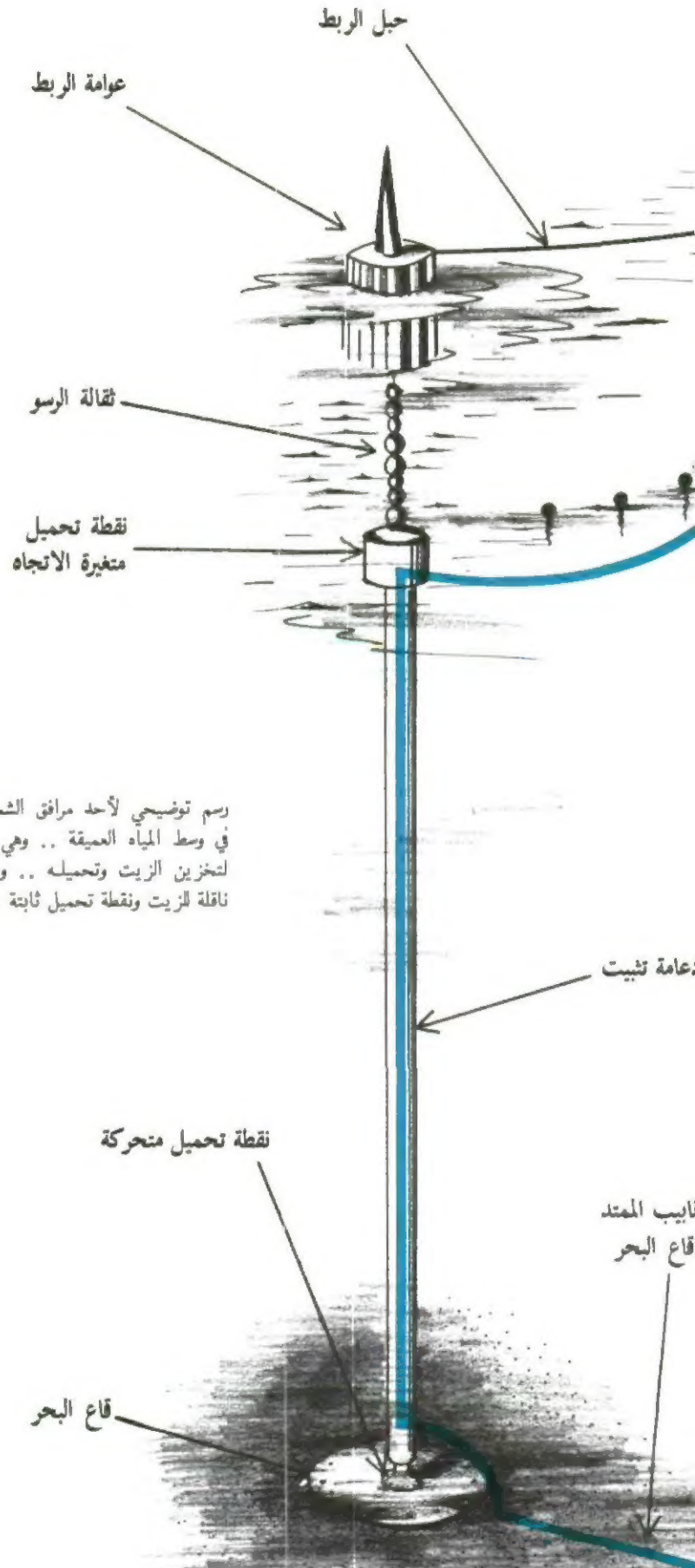
أما عن كيفية إقامة المنصة الرئيسية للحفر والإنتاج تحت سطح الماء ، فإن هذه المنصة العملاقة تقطر عائمة على سطح الماء إلى مكان تثبيتها في الموقع المعين لها ، وبعدها يتم انزاعها إلى الماء ، وقبل القيام بتثبيتها في قاع البحر ، يثبت على كل قائمة من قوائمها الأربع عمودان قطر الواحد منهما ٣٦ بوصة . وعندما تستقر المنصة في قعر البحر تدفع هذه الأعمدة إلى أن تخترق طبقة قاع البحر مسافة تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ قدما وذلك للمحافظة على سلامة هذه المنصة العملاقة وتثبيتها تثبيتا محكما ، وللزيادة في الحيلة ، تركز أعمدة أخرى يبلغ قطر الواحد منها نحو ٣٠ بوصة داخل الأعمدة السالفة الذكر والمثبتة على قوائم المنصة بالاسمنت .

وبعد إنجاز عمليات الإنتاج في منطقة معينة ، ينقل هذا النوع من المنصات العائمة إلى مناطق أخرى للقيام بعمليات حفر جديدة بحثا عن مزيد من التشكيلات الجيولوجية الغنية بالزيت .

مَدْخَطُوطُ الْأَنْابِيبِ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ

عندما تكون الآبار معدة اعدادا كاملا لممارسة عملية الإنتاج ، يشرع على الفور في مد خطوط الجريان وخطوط الأنابيب لتجميع

رسم توضيحي لأحد مرافق الشحن العائمة المقامة في وسط المياه العميقة .. وهي طريقة مستحدثة لتخزين الزيت وتحميله .. ويشمل هذا المرفق ناقلة للزيت ونقطة تحميل ثابتة ..





خزان دبي رقم ١ - أثناء مرحلة نقل

خزان دبي رقم ١ - خلال عملية قطره الى المكان المعين لتنطيشه وتثبيت فيه وذلك لاستخدامه في تخزين الزيت .

التآكل فانها تغطي بطبقة واقية من الدهان الخاص ، كما تخضع للطرق التقليدية المتبعة في وقاية المنشآت البحرية وأهمها طريقة « الوقاية الكاثودية - Cathodic Protection » . ومن قبيل الاحتياطات الأخرى التي تتخذ مراعاة لسلامة خطوط الجريان هذه ، أنه يجري فحصها مدة ٢٤ ساعة كحد أدنى تحت ضغط الماء بحيث تتعرض لضغط يزيد بمقدار مرة ونصف المرة على معدل الضغط المقرر لتدقق الزيت ، وذلك لتبيان مدى الضغط الذي تتحمله أنابيب الجريان.

السفن والتخزين

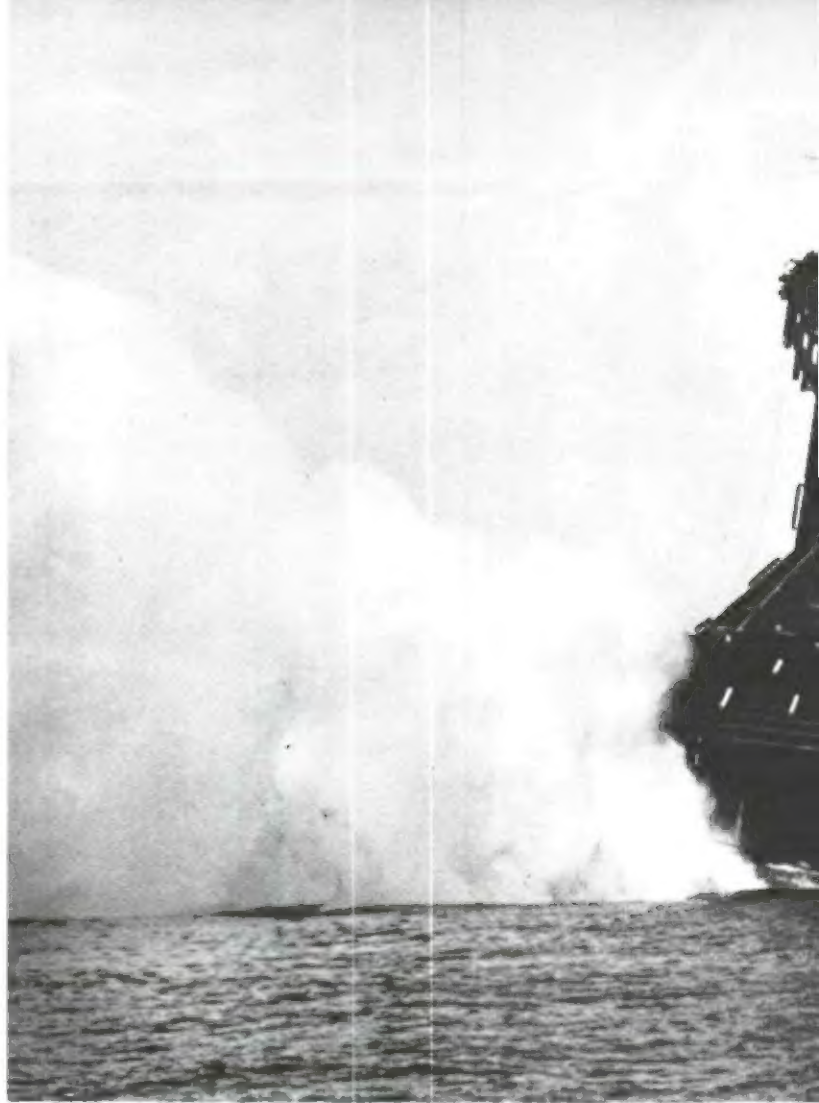
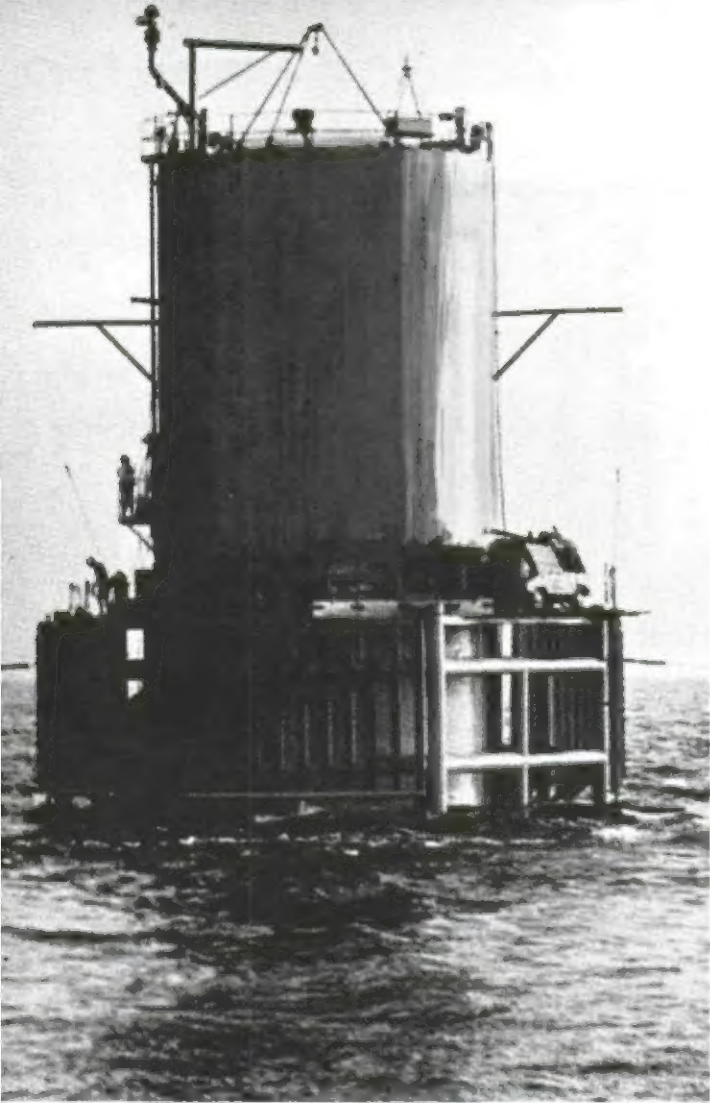
هنالك طريقتان لتخزين وتحميل الزيت المستخرج من الحقول المغورة في المياه العميقة والتي يتم انجاز آبارها تحت سطح الماء ، فاما أن يتدقق الزيت بعد عمليات الفرز في خطوط الأنابيب الى القرصة البحرية « Terminal » الواقعة على الشاطئ للمعالجة والتخزين ثم التحميل

ضوء هذه الدراسات يتسنى للمهندسين تحديد الموقع والمسار الملائمين لخطوط الجريان المراد مدها فوق سطح طبقة قاع البحر .

وبعد تعيين مسار خطوط أنابيب الجريان حسب الدراسات والتقارير الموضوعه ، يبدأ المسؤولون والفنيون بدراسة التأثيرات الناتجة عن تيارات المياه تحت سطح البحر وكذلك الرياح والأمواج ، وطبيعة قاع البحر وتكويناته المختلفة ، وأخذها في عين الاعتبار وذلك لتحديد الأماكن التي ينبغي طمر الأنابيب فيها تحت سطح طبقة قاع البحر .

وللمحافظة على سلامة خطوط أنابيب الجريان في المياه العميقة فان هناك أجهزة الكترونية وميكانيكية خاصة تثبت على سطوحها ، كما أن ثمة أجهزة دقيقة لقياس معدل الضغط العالي والضغط المنخفض تتركب على المضخات الخاصة بضخ الزيت . هذا فضلا عن الصمامات التي تغلق تلقائيا . ولحماية هذه الأنابيب من

الزيت من آباره ليدخل في أنبوب ذي قطر كبير . وعملية مد خطوط الأنابيب في المياه العميقة تجري عادة في أعقاب اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لتأمين سلامة هذه العملية الحيوية وذلك لتوصيل الزيت والغاز من فوهات الآبار الكامنة تحت سطح الماء الى أماكن التجميع والتخزين والشحن . ومن ناحية أخرى يقوم المهندسون المختصون بدراسة دقيقة لتحديد مسار خطوط الجريان التابعة للآبار المنتجة والممتدة على سطح طبقة قاع البحر للتأكد من سلامتها وملاءمتها لعمليات نقل الزيت من حقوله الى أماكن تخزينه أو شحنه . ويشارك المهندسين في هذه الدراسة المساحون وذلك لايجاد قطاع لسطح قاع البحر باستعمال أجهزة المسح السيزموغرافي أو « أجهزة التقاط الصوت - Sonar Scanning Devices » . ومن بين الأمور الأخرى التي يقوم بها المهندسون خلال دراساتهم ، فحص العينات الصخرية الأسطوانية « Cores » المأخوذة من قعر البحر ، وعلى



هكذا يبدو خزان دبي رقم ١ بعد أن تم تثبيته في الموقع المعين له .
تصوير : « سي . بي . أند آي »

قدما وفي نقطة ثابتة تبعد حوالي ٥٨ ميلا عن شاطئ دبي .

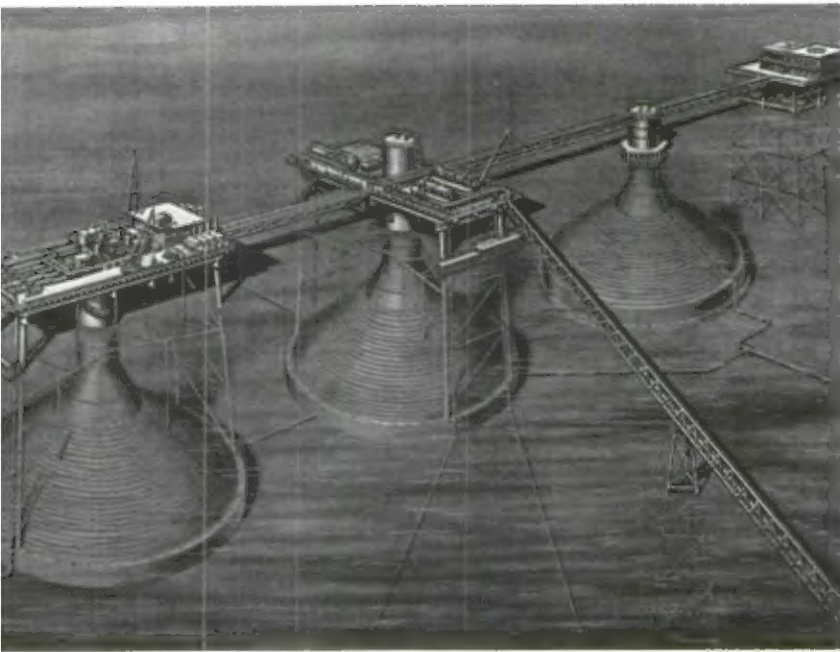
كما يمكن تجميع الغاز من مختلف الأوعية والخزانات بواسطة « وحدة استخلاص الأبخرة - Vapour Recovery Unit » . وكما أشرنا آنفا إلى أنه بفضل التحكم في درجات حرارة الزيت المتدفق يمكن الحصول على أكبر كمية ممكنة من الأبخرة الهيدروكربونية ، الأمر الذي يجعل بالامكان الاستفادة من جميع منتجات الزيت .

هذا وقد تستعمل نقطة التحميل الثابتة في عرض البحر كمرکز لشحن الزيت المنتج من المناطق المغمورة العميقة المياه ، حيث يجري نقل الزيت عبر خطوط للجريان ترتفع إلى نقطة قريبة من سطح الماء ثم تمد خراطيم قوية لتحمل الظروف المحيطة بها ، إلى المراكب والسفن والناقلات لتعبئتها . وفي كثير من الأحيان تستعمل الناقلات أو السفن كخزانات عائمة للزيت إلى أن يحين وقت شحن هذه الكميات المخزونة إلى أجزاء المعمورة لمد الإنسان بحاجته من الطاقة .

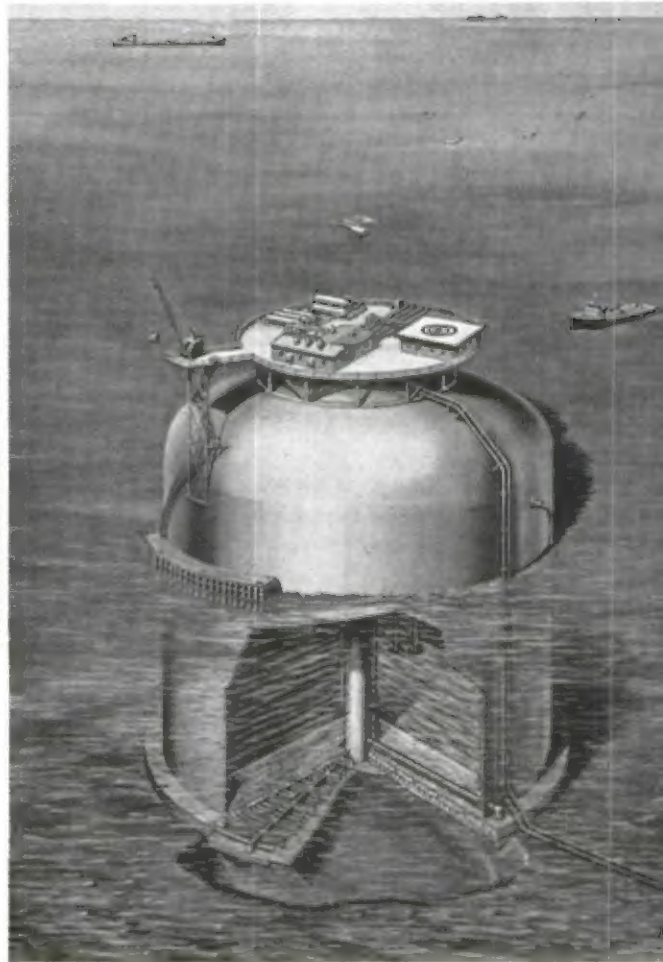
يوجد على منصة الانتاج ثم تنتقل إلى معمل فرز الغاز من الزيت الموجود كذلك تحت سطح الماء والمقام على سطح قعر البحر . ويمكن التحكم في درجة حرارة الزيت الخارج من « وعاء الفرز - Separator » بحيث ترتفع حرارته في « المبدل الحراري - Heat Exchanger » ، وهذه العملية تعطي نتائج مرضية تساعد في الحصول على نسبة عالية من الأبخرة البترولية وذلك لدى معالجة الزيت في مرافق معامل التكرير . أما المضخات الضخمة فمهمتها دفع الزيت في خطوط الأنابيب المغمورة من منصة الانتاج التي تشمل أوعية فرز الغاز من الزيت والخزانات إلى فرضة التحميل والشحن لتصديره إلى أسواق العالم . فقد يدفع الزيت من منصة الانتاج المغمورة تحت الماء عبر خطوط للأنابيب إلى الخزانات الواقعة في مركز الشحن والتخزين على اليابسة ، وهذه الخزانات ذات « سطوح غير ثابتة - Floating-Roofs »

والشحن ، وأما أن يتدفق مباشرة إلى الناقلات الراسية في وسط البحر عبر « نقطة تحميل ثابتة - Single Point Mooring » بعيدة عن الشاطئ ، ويكون موقع نقطة التحميل هذه عادة ضمن حدود المياه الإقليمية . غير أن العاملين في صناعة الزيت يفضلون أن يكون موقع مركز التخزين والتحميل على الشاطئ على أن يكون في المناطق المغمورة وذلك لأسباب بيئية وعملية ، وقد يكون مركز التخزين والشحن البحري أفضل الاحتمالات من الناحية الاقتصادية وغير ذلك . وعلى أي حال فإن المهندسين المختصين العاملين يقومون بدراسة تفصيلية لجميع الظروف والاعتبارات الفنية مع اجراء تحليلات حساسية دقيقة للتكاليف المترتبة على التصميم وعمليات التشغيل ، وذلك حتى يتسنى لهم اختيار أفضل الطرق الملائمة لتنفيذ مثل هذا المشروع .

ان كميات الزيت المستخرجة من الآبار المغمورة تحت سطح الماء ، تتدفق إلى « مجمع -



مجموعة من الخزانات المستخدمة في تخزين الزيت المستخرج من الحقول المغمورة في المياه العميقة والتي تم تثبيتها في قاع البحر .



أحد خزانات الزيت المثبتة في قاع البحر تملؤه مجموعة من الأجهزة الخاصة بالانتاج .

وبعد الانتهاء من بناء الخزانات جميعا يتم توصيلها بمجمع واحد للانتاج ، حيث يمكن بذلك تحويل الانتاج أو الضخ الى واحد أو أكثر من الخزانات . ومن ناحية أخرى ، يصبح في الامكان ضخ الزيت من الخزان الى الناقلات مباشرة أو دفع الزيت من مرافق تجميعه الى الخزان .

وهذه الخزانات ستكون مستقلة تماما عن منشآت الزيت المقامة على اليابسة . لذلك يمكن معالجة الزيت وتخزينه وتحميله وشحنه على الناقلات من مرافق الانتاج نفسها التابعة للحقل في المنطقة المغمورة بالماء ، وهذا ما يدعو الى عدم الحاجة الى استعمال منشآت الموانئ وفرض الشحن أو التحميل ، أو خطوط الأنابيب الممتدة تحت سطح الماء والتي قد يبلغ طولها عشرات الأميال لتنتقل الزيت من آباره الى مراكز الشحن ، وهذا ما يساعد على توفير في نفقات الانتاج ■

فتحي أحمد يحيى - الظهران

الماء من الجزء القبوي السفلي مسن خلال ثقب تنشر في محيط القاعدة ، وطبعا تتم العملية العكسية حينما يتم ضخ الزيت من الخزان الى الناقلات حيث يندفع الماء وراء الزيت وهكذا دواليك .

لقد كان تنزيل « الخزان رقم - ١ » في المياه العميقة حدثا جديدا في مجال تخزين الزيت تحت سطح الماء ، كما أن هذه العملية أصبحت من الوسائل المجدية لانتاج الزيت وتخزينه في نقطة تبعد مسافة كبيرة عن الشاطئ . هذا وقد تم بناء الخزان الثاني كما أن العمل مستمر في بناء الخزان الثالث .

أما عملية بناء هذه الخزانات فتتم في حفرة كبيرة حيث يمكن تعويم الخزان بداخلها ثم يتم انزاله الى مياه الخليج بمساعدة قارب جر كبير . وتتم عملية تغطيس الخزان في الموقع المقرر له باخراج الهواء من داخله وإحلال الماء محله . وتستعمل هذه الخزانات للتخزين ، وكنشآت مساعدة لمنصات الانتاج البحرية .

وما تجدر الإشارة اليه في هذا المضمار أنه تم منذ حوالي ثلاث سنوات انزال « خزان البترول رقم - ١ » في المنطقة المغمورة التابعة لأمانة دبي في الخليج العربي ، تقدر سعته بحوالي نصف مليون برميل ، وقد كان في ذلك الحين يعتبر أكبر خزان مغمور تحت سطح الماء في العالم كله .

وقد تم تغطيس هذا الخزان في مياه الخليج العربي في نقطة تبعد حوالي ٥٨ ميلا عن شاطئ دبي في مياه يبلغ عمقها ١٥٥ قدما ، وذلك لاستخدامه في تخزين وتحميل الزيت من حقل « فاتح » . ويشبه هذا الخزان الزجاجية الكبيرة في شكلها ، وهو عبارة عن وعاء كبير مصنوع من الصلب يبلغ ارتفاعه حوالي ٢٠٥ أقدام ، وقطره حوالي ٢٧٠ قدما ، ووزنه خمسة عشر طنا . وهذا الخزان لا قاع له ، اذ يعمل على أساس نظرية الوزن النوعي والكثافة ، حيث يطفو الزيت على سطح الماء . فعندما يتدفق الزيت الى الجزء العلوي من الخزان يخرج

الموثرات في تكوين الشاعرا

الأصل - البيئة - الثقافة

منها ازدراء لها ، ولكنه لا يصل الى غايته ، بل يظل مقصرا متأخرا حتى اذا ضاق صدره وثار حنقه رجع الى طبيعة الشاعر فاستملاها لينطق بأعذب الألفاظ وأطرب الألحان ولقد برم المتنبي بشعره فصاح مقهورا :

الى كم ذا التماذي في التماذي

وبيع الشعر في سوق الكساد

وذهب يشرق ويغرب ، فلما وجد الملك صعب المرتضى وأنه غير جدير بالملك وأنه لا يستطيع مجازاة ملوك زمانه بما كانوا عليه من صفات كان المتنبي يحتقرها ، لما رأى هذه النتيجة الحزينة عاد الى شعره يقول مفتخرا متغنيا بالحانه :

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صمم

ولكن الشاعر الذي يولد شاعرا لا يظل كما ولد ، ولا يبقى على طبيعته الأولى ، فهو بطبيعته الشاعرة معرض للموثرات المختلفة التي تزيد من شاعريته أو تنقص ، والتي تلون احساسه بحسب وجوده وأصله وبيئته وقراءاته وحوادث الدهر الأخرى التي تمر به ، انه كالشجرة التي تهزها الرياح تميل ذات اليمين وذات الشمال وهي في كل الأحوال توحي أكلها وتعطي ثمرها غضا يانعا .

ويبدو الشاعر في كثير من أحواله متناقض الرأي مرتبك الذهن ، يقول شيئا ، ثم يعدل عنه الى عكسه دون أن يحاسب نفسه على شيء من هذا ، ومن هنا فان الشعراء لم ينجحوا في السياسة ولم يصنعوا فيها شيئا يذكر ، ونحن نذكر الكثير منهم ، وكلهم قد أوحوا لنا بقصر باعهم في هذا المضمار ، كما فعل «لامارتين» حين أراد أن يكون سياسيا ، وكما فعل «غوته» حين أراد أن يصبح في الدولة شيئا مذكورا ، وكذلك حين تحكك «شوقي» بالقصر وملابساته . لقد أخفق هؤلاء الشعراء لأنهم سريعو التأثر بكل ما يمر

الإنسان ذو موهبة ، والموهبة عطاء يعطيه الخالق جل وعلا ، فيهب فيه فكرا لماحا واحساسا مرهفا ونظرة تفهم من المنظورات غير ما يفهمه الإنسان العادي المجرد من الموهبة الشعرية الفنية ، والشعر هو التعبير الرائع عن الاحساس بما في الحياة من خير أو حق أو جمال وعن كل ما تقع عليه عين الشاعر . ولا بد من وجود هذه الموهبة عند الشاعر ليكون شاعرا صحيحا ، وقد تكون هذه المنحة الالهية كبيرة ، فيكون الشاعر عبقريا فذا وقد تكون مختصرة صغيرة فيكون شاعرا بسيطا أو لا يكون شاعرا أبدا :

الشعراء فاعلمن أربعة

فشاعر يجري ولا يجري معه

وشاعر يضرب وسط المعصمة

وشاعر لا تشتهي أن تسمعه

وشاعر لا تستحي أن تصفحه

ولقد أحسن هذا الناقد الشاعر في هذا الجدول الشعري الذي صنف فيه الشعراء وأجاد اجادة بارعة ذكية ، فالرجل اما شاعر كبير ، أو شاعر عادي ، أو شاعر موفق ، أو شاعر ليس بشاعر . وقد يلازم الشعراء طبائع خاصة بهم تجعل منهم أشخاصا شاذين أحيانا ومعتدلين أحيانا أخرى ، فقد يكون أحدهم ضيق الصدر بالناس لا يستطيع احتمالهم كابن الرومي ، وقد يكون منصرف الفكر الى ناحية بعيدة عن امكانه كالمجنبي الذي ظل حياته يسعى الى الأميرة والملك حتى قتل في سبيل مسعاه ، ولن تجد شاعرا موهوبا خاليا من هذه الصفة التي تجعل بينه وبين الناس بعدا قد يكون كبيرا أو صغيرا .

والشاعر الموهوب قد لا يستطيع عمل شيء غير النظم وقد يجور به قصده عن جادة الصواب فيتحرف الى هدف آخر كما فعل المتنبي ، أو قد يرى في فنه ما يسيء الى شخصه فيهرب من واقعه ويحاول اخفاء موهبته أو يتبرأ

بقلم الأستاذ احمد الجندي

بهم ، وتأثيرهم هذا يخلق عندهم الأفكار بحسب هذه المؤثرات التي كثيرا ما تكون متضاربة متعاكسة .

وهذه طبيعة خاصة تجعل من الشاعر شخصا مترددا لا يقر له قرار ، وتبعد به عن العمل السياسي الذي يتطلب طبيعة حادة وفكرا يصمد للأحداث فلا تهزه ولا تغير منه شيئا .

الفصل الأول فالشاعر الصحيح هو ابن الموهبة وأولاً وابن المؤثرات الفعالة ثانياً ، وهذان العنصران هما اللذان يكونان الشاعر .

ولكن ما هي المؤثرات التي تؤثر في الشاعر أو بعارة أجدى ، ما هي أهم المؤثرات فيه : لقد اختلف النقاد في تحديد هذه المؤثرات ولكن الدراسات المتعاقبة جعلتها ثلاثة : مؤثرات مهمة هي : الأصل الذي ينتقل بالوراثة ، والبيئة التي يحيا فيها الشاعر ، والثقافة التي يغذي بها موهبته ويتغذى من فكره وذهنه .

أما الأصل فهو يتعلق بالوراثة التي يتأثر بها الانسان من أبويه وأجداده القرباء والبعداء ، وربما تأثر الانسان بنوع من الوراثة يسمونه الرجوع الى الوراء ، وبه تنتقل للانسان صفة أو حالة أو مرض كان في أحد أجداده منذ مئات السنين . وقد تحدث بعض العلماء في الأثر الكبير لهذا الميراث مستندين في ذلك الى القول بأن الجسم كله يشترك في تكوين الانسان حين يكون جنينا ، فهو صورة مصغرة لما كان عليه أبواه في الهيئة والطبيعة والعقل .

ولو سلمنا بأن الكثيرين من المواليد يحتفظون بآثار كثيرة من آباءهم في الشكل والصوت والهيئة ، فانا لا نسلم بأن المولود يحمل العقلية أو الفكر الذي كان يملكه أبواه ، وخاصة في الصفات الفنية التي نحن بصدددها من مثل الشعر والرسم أو غير تلك من الصفات ، ولم نسمع بشاعر خلف شاعرا مثله الا في القليل النادر الذي لا يحكم له . ولو استعرضنا تاريخ الشعر العربي لما وجدنا مثالا

واحدا يصدق معه القول بأن فلانا شاعرا لأن أباه كان شاعرا ، وهذا تمام بن أبي تمام قد نظم ثلاثة أبيات من الشعر ثم قيل له حسبك يا فلان ، فسكت غير آسف ولا نادم ، والأمثال على هذا كثيرة في كل الآداب . هذه ناحية من الوراثة لم تثبت علميا لدينا أبدا ، وأبعد من هذا وقوعا ووراثة الصفات ، فليس من الواقع الصحيح أن يرث المرء بخل أبيه أو كرمه أو شجاعته أو جبنه ، بل عكس ذلك نجد أن الآباء والأبناء متناقضون متخالفون في هذه الصفات ، ولقد أشار العرب الى هذا بعارة تعطي كل ما نريد لتثبت من فكرة نفى الوراثة في الصفات فقالوا : ولد النجب لا ينجب . وقد أطلقوها وكأنها قاعدة تؤكد أن الصفات لا يمكن أن تورث . فالصفات التي نراها عند بعض الشعراء لا يمكن أن تعزى الى الآباء والأجداد بل هي آتية في رأي التجربة والواقع عن طريق الخلقة التي تنتج ثمارها دون قيد سابق ، أو شرط متقدم ، والطبيعة كما لا يخفى مولعة بمخالفة القواعد ، ولذلك فان من العسير أن تجعل للحوادث قاعدة عامة ، بل ان القاعدة لا يمكن أن تشمل الاعداد من هذه الحوادث لا كلها وهذا هو رأي المناطق التطبيقية ، أصحاب البرهان والتجربة والقوانين . هذا الأساس فنحن ندحض دحضاً

علمي مؤكدا قول العقاد ومن سايره في رأيه ان ابن الرومي قد أخذ عبقريته في التصوير الشعري عن أجداده اليونان لأن هذا القول مخالف للطبيعة والواقع ، ولو وافقنا العقاد على قوله ، فما عسانا أن نقول في شوقي الذي اشترك في أصله أربعة أو خمسة من العروق ، وهل يمكن أن نغزو ما رأينا عند الشعراء العباسيين من تنوع في شعرهم واختلاف في أساليبهم الى أصولهم الفارسية أو الدبلوماسية أو الكردية أو التركية أو ما شاكل هذه الأصول المتضاربة المتنوعة . ولم لا نريح أنفسنا ونريح العلم فنقول : بأن ابن الرومي قد

ولد على صفة خاصة ، وان موهبته كانت في هذا التصوير البارع الذي لم يرثه وراثة ولا تأثر فيه بشيء ، وانما وجد عنده وجودا وخلق خلقا لا شأن لمؤثر فيه الا المصادفة والواقع . وهل يمكن أن تكون ملكة التصوير وقفا على اليونان أو غيرهم من الأمم ولم لا نقول بأن الانسان واحد في كل الأمم وانما الذي يختلف بين انسان وآخر هو البيئة والتربية والدراسة والمرض والصحة الى آخر هذه المؤثرات التي قد تخلق المرء خلقا جديدا يبعد به عن نشأته الأولى .

ب ابن الرومي لم يعيش بين اليونان ولم تنقل الروايات لنا شيئا يؤكد معرفته للغة اليونانية ، فكيف جاز لنا أن نهمل التربية والبيئة وغيرها من المؤثرات المهمة لنغزو تصويره الى روميته التي انقطعت بينها وبينه كل صلة ابان حياته وحياة أبيه العباس بن جريجوس . ولم لم نغز الى أبي تمام صفة من الصفات الشعرية كما صنعنا بابن الرومي مع أن نسب أبي تمام رومي كما يقال وان جده يدعى (تدوس) وهو محرف عن (تيودوسيوس) الاسم اليوناني أو البيزنطي المعروف . لقد سكت النقاد قديما وحديثا عن تأثير الشعراء العرب بأصولهم القديمة ، وجلهم قد كان من أصل غير عربي وخاصة في العصر العباسي فلم يضع أحد من هؤلاء النقاد صفة خاصة لشاعر ولم يتعرض أحد منهم لهذه الفكرة الا عند ابن الرومي ، ولعل هذا التمييز والتوزيع قد كان من نحس الشاعر الذي حمل النحس على كفيه كل حياته فلم يسلم منه حتى في ميراثه ليظل مفردا في عبقريته مفردا في تاريخه .

أما البيئة فثابت أثرها في الشاعر ولكننا لا نشط فنغزول للبيئة كل شيء ، اننا نصر على الاحتفاظ بحق الفطرة أو الخلقة التي أوجدتها الطبيعة فهو الحق الأول ، وما عداه فروع ، ولكن البيئة تقوم من الطبيعة وتهذب منها وتعديل فيها وقد عرف الفلاسفة العرب وغيرهم من فلاسفة

الفرجة للبيئة والتربة أثرهما في الطبيعة والموروثات. وما هو الغزالي يقول : ان الأخلاق تكون تارة بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتماد الأفعال الجميلة ومشاهدة أرباب الفعال الحميدة ومصاحبتهم ، اذ الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعا .

تأثر ابن الرومي بالحياة التي عاشها والشاعر كما هو مقبول ومعروف مرآة تنطبع عليها المورثات التي تمر بها والمشاهد التي تعرض لها ، فنفسه اذا وليدة هذه المراتي والمشاهد التي تترك كلها أثرا في نفسه. الا ترى ابن الرومي كيف وصف كل شيء شاهده في حياته ، بائع الزلاية ، والوجوه المختلفة الشاذة ، والجمال الرائع الأخاذ ، والطبيعة المحببة التي كانت تزين له (بعد حياء وخفر) كما يقول ، ان هذه المناظر كانت تدفع ابن الرومي الى القول والنظم والغناء . ولو كان لأصله التأثير الذي أراد العقاد تأكيده لوجدنا لكل شاعر من مختلفي الأصول أثرا من أصله يؤثر فيه ويحور أو يبدل في شعره وشاعريته ، ولرأينا أبا نواس ينظم على الطريقة الفارسية ولوجدنا أبا تمام ينظم على الطريقة الرومية وهكذا دواليك مما لا ينتهي الى واقع معقول .

ان البيئة التي يحيا فيها الشاعر هي صاحبة الأثر الأول في حياته ، ما دام الشاعر انسانا مجلوا النفس تترامى في نفسه كل المشاهد والمناظر ، ولو عاش ابن الرومي في «باريس» لتغير شعره ، ولو انتقل الى أمريكا لكان التغيير أعقق وأبعد أثرا. أما المورث الآخر الذي يبدل ويغير من شعر الشاعر فهو الثقافة والقراءة والحفظ ، أي الأفكار والآراء التي يعيشها الانسان ، فالأديب حين يقرأ لشاعر يتأثر به ويقلده دون وعي وبطريق اللاشعور الذي يعتمد الفلاسفة ويرون فيه مخزنا كبيرا للحاسيس والنزوات .

ولعل القراءة الأولى هي صاحبة الأثر البارز في حياة الشاعر ، والطبيعة هي التي تسوقه الى المطالعة والقراءة فينصرف بطبيعته الى قراءة

الشعر عن هوى فطري ، ويحفظ منه الشيء الكثير دون عمد أو قصد ويباشر النظم عن دافع فطري يهيئه لذلك وربما بدأ النظم مرتجلا بعض الجمل الموزونة وربما تحدث ببعض العبارات المسجوعة الشبيهة بالشعر ، وضدها يدرك أنه شاعر فيباشر النظم ، ولا بد أن يكون نظمه الأول بدائيا تقليديا ، وسرعان ما يعرف الشاعر الذي يحتذيه أو يقلده ، ويظل كذلك مقلدا حتى تتكون شاعريته وتنضج شخصيته فيستقل عن كل ما عده ويبدو شاعرا ذا طابع خاص يعرف به بين الشعراء . ولكن هذا لا يعني أنه يصبح معزولا عن المورثات اللاحقة والسابقة كلا ، فان الشاعر مهما عظم أو كبر لا بد أن ترى في آثاره آثارا لغيره ، ولعلك تجد أثر أبي تمام في شعر البحري ، وربما وجدت أثر البحري أو أبي تمام في شعر المتنبي ، وهذا أبو العلاء المعري العالم الزاهد الشاعر الفيلسوف لقد جاء في شعره الكثير مما يحمل طابع المتنبي . وأول شاهد على ذلك قصيدته الشهيرة في ديوانه «سقط الزند» ومطلعها :

الا في سبيل المجد ما أنا فاعل

عفاف واقدام وحزم ونائل
فهي أشبه بشعر المتنبي منها بشعر أبي العلاء .
مما تقدم يتضح أن الشاعر مرتبط بالشاعرية التي تولد حين ولادته ، وأعني بذلك الطبع الشاعر ، فهو أول مورث يقود صاحبه الى حيث يريد ، ثم يتعرض الشاعر ، كإنسان متأثر ، الى ما حوله من زمان ومكان وثقافة فيتشكل شعره شيئا فشيئا وتتكشف قريحته ، وتعرض هذه القريحة للتقويم والاعوجاج والتخفيف والانحراف تبعا لما يلقاه في عيشه ، ولكن هذه المورثات لا تتعدى في عملها مظهرًا لشاعر ولا يزيد أثرها على المساس السطحي . أما الذي يبقى أساسا للشاعر فهو الفطرة التي جعلت منه شاعرا بدل أن يكون مؤرخا أو مهندسا أو طبيا .

لشعنا أن نبين أي هذه المورثات أقوى
والتبديل ، فالشاعر العربي الأصيل اذا عاش في فرنسا أو انكلترا فلا بد أن يتأثر بهذه البلاد تأثرا واضحا في شعره . وقد رأينا كيف تأثر شوقي بحياة القصور أيام الخديوي اسماعيل وعباس فبدت على شعره نغمة القصور ودلال المقاصير ، ثم رأيناه حين ذهب الى الأندلس كيف تأثر بهذه البلاد فوصفها ووصف مأساة العرب فيها ، فكان شعره في المنفى يحمل الطابع الأندلسي وكأنه معاصر لابن الخطيب وابن زيدون .

وهذا الشاعر الفرنسي «الكونت ده ليل»
لقد عاش في جزر «المارتنيك» فخرج شعره ، رغم قوته ورسالته متأثرا بالصحراء الالهية والشمس الساطعة ومناظر الوحوش السارحة ، ولو قرأت ديوانه «قصائد بربرية» لاستغربت ما فيه من لوحات صحراوية تأخذ الفكر والنفس بجملها وروعته ، وخاصة في قصيدته «الفيلة» و «الظهرة» وما فيها من وصف للصحراء والحيوانات ومناظر تلك البلاد الاستوائية العجيبة . فلما انتقل الى فرنسا ليستقر أحسن بوقع الشتاء والبرد القارس والرياح الباردة العنيفة وهي تضرب الأشجار فتكسر القصون والجدوع ، ولو قرأت قصيدته «رياح الليل الباردة» لاستمتعت بهذه الأوصاف التي أملتتها على الشاعر بيتته الجديدة الباردة .

ان صفات الشاعرية الدقيقة لا تنتقل بالوراثة لأن الواقع يخالف ذلك ، وان الشاعر مرآة صافية دقيقة تظهر فيها المراثيات والمنظورات فتترك آثارها منطبعة عليها ، لذلك فانه يتأثر دائما بقراءاته وبيئته وحياته ، وهذه المورثات مجتمعة ، مضافة الى فطرته الأصيلة الصادقة ، هي التي تكون الشاعر ■

أسعد الجندي - دمشق

مجمع اللغة العربية

رسالة علم وعرفان

في حوالي شهر فبراير من كل عام يعقد مجمع اللغة العربية دورته السنوية المعتادة ، وقد عقد في هذه السنة دورته التاسعة والثلاثين ودعا إليها - كمعاداته في كل الدورات السنوية - اعضاءه العرب الذين يمثلون جميع البلاد العربية . ولقد تناول المؤتمر أبحاثا جادة عميقة تناولت مختلف العلوم والفنون ، ونظر في مصطلحات علمية مختلفة زادت في ثروة اللغة العربية في هذا المجال ، فقد أقر المؤتمر مصطلحات في الكيمياء ، والطبيعة ، والجيولوجيا والطب ، والرياضة ، والفلسفة ، والجغرافيا ، والتاريخ الحديث ، والحضارة القديمة والوسطى ، وفي ألفاظ مستحدثة تطلبتها الحضارة المعاصرة . فما هو مجمع اللغة العربية ، وما هي رسالته ؟ وما مدى تحقيقه لأغراض انشائه ؟

اننا أمام الصورة الباهتة التي ترسم في ذهن أغلب المثقفين عن المجمع ، وأمام الدعايات غير المستلحة التي يرددها بعض الناس عنه ، رأينا من واجبنا اعطاء فكرة عن مجمع اللغة العربية في القاهرة .

صدر المرسوم الخاص بإنشاء مجمع اللغة العربية في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، وبأمر مهام عمله في نهاية يناير من سنة ١٩٣٤ (١) ، فكان ذلك اليوم بمثابة منطلق الشراكة الأولى في نور المعرفة التي تعاون في نشرها أعضاء المجمع جميعا من عرب ومستعربين ، مما كان له أكبر الأثر في نشاطه الجم وجهده الصادق . ومضى المجمع في ركب المعرفة ما لا يزيد على ست سنوات قبل أن تعلن الحرب العالمية الثانية التي وقفت حائلا دون سير هذا التعاون على النحو

المطلوب . وما أن عم السلام حتى بدأ المجمع في لم الشمل والاتصال بأعضائه في الخارج ، وأعاد النظر في خطته وسار في طريق النور بيدد الظلمة ويمحو الجهل ويقوم اللسان .

حدد مرسوم إنشاء المجمع أغراضه ، ووضح سبل تنفيذها ، وكيفية سير العمل فيه ، ورسم معالم شخصيته المعنوية ، ومن بين الأغراض التي نص عليها المجمع « أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة للحاضر . » ووسيلته الى ذلك تنحصر في : تبين ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب ، وبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة ، وتتبع تاريخ بعض الكلمات وتغيير مدلولاتها ، وتحقيق النصوص القديمة المتصلة باللغة وفقهها ، ووضع معاجم لغوية ، ثم اصدار مجلة تنشر أبحاثه وقوائم الألفاظ والتراكيب التي يقرها ، وتفتح المجال لمناقشات الجمهور واقتراحاته .

ومن هذا يظهر أن إنتاج المجمع هو : تيسير اللغة متنا وقواعد وكتابة ورسم حروف ، وتوفير المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية بحيث تصبح اللغة وافية بمطالب العلوم والفنون ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وتهذيب المعجمات اللغوية ، ووضع معجم تاريخي شامل يعرض لتطور اللغة العربية في عصورها المختلفة ، وتشجيع الانتاج الأدبي ، وإحياء التراث القديم في اللغة والأدب .

وقد أنتج المجمع في هذه الأبواب جميعا ، وإن سار انتاجه في أناة وروية ، وهذا شأن العلماء المثبتين الذين يعنون بالكيف ويحرصون على

التجويد ، وعلى صقل العمل العلمي وتهذيبه . ففي متن اللغة مثلا ، وضع المجمع أمامه مشكلاته وواجهها في مجلسه ومؤتمره وفي لجانته وعلى أيدي خبرائه ، وأعد في ذلك بحثا ودراسات ، فعرض لمتن اللغة في أصله ونشأته ، وتناول نموه وتطوره وعالج ركوده وجموده ، وجد في البحث عن وسائل تغذيته ، ووضع في ذلك طائفة من القواعد والمبادئ ، واتخذ قرارات تعد ثروة علمية قيمة . وقد أخرج منها طائفة كبيرة في كتابين هما « مجموعة القرارات العلمية » وهو الجزء الثالث من مجموعة صدرت باسم مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، وقد اشتمل على القرارات التي صدرت من الدورة الأولى الى الدورة الثامنة والعشرين ، ويقع في أكثر من مائتي صفحة و « كتاب في أصول اللغة » ، وقد اشتمل على القرارات التي صدرت من الدورة التاسعة والعشرين الى الدورة الرابعة والثلاثين في اللغة العامة وفي الألفاظ والأساليب ، ويقع في أكثر من ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير .

اللغوي لم يتتبع في هذه القرارات قواعد جديدة ، ولم يخرج بها عن طبيعة اللغة العربية ونظامها الموروث ، بل كانت وجهته الاجتهاد في تفسير ظواهر اللغة ، على أساس من الآراء والنظريات التي خلفها علماء ومؤلفون لهم مكانهم في التراث العلمي العربي . فهي في مجموعها صدى للحركة المستمرة التي يقوم بها المجمع في تطوير اللغة وتنميتها وتطويعها لمطالب الحياة العلمية والثقافية الحديثة . وهذه القرارات التي صدرت ، والتي لم تنشر بعد ، كانت نتيجة لدراسات شاقة في اللغة طال فيها

(١) كتاب الدكتور مذكور : « مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ، ماضيه وحاضره »

الأخذ والرد ، فقد درست في اللجان ، ونوقشت في مجلس المجمع ومؤتمره ، واستشهد لها : واعترض عليها ، ومن بينها ما أعيد النظر فيه وعدل على أن باب الاجتهاد لم يفتح على مصراعيه ، فلغة أصول ومعالم لا ينبغي أن تمس . وهناك مشاكل لغوية آثر المجمع التريث فيها رغم آثارها غير مرة ، مثل أبواب الثلاثي ومصادره .

وعسى المجمع بدراسة اللهجات ، فمن أغراضه : « أن ينظم دراسة عملية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية » ولقد كان بعض أعضائه القدامى علماء في اللهجات ، وهم الأساتذة الراحلون « كارل ألفونس نلينو » ، و « انوليمان » ، و « عيسى اسكندر المعلوف » ، وهم الذين رسموا له خطة دراسة اللهجات وبنوا مزاياها . وقد شكلت للهجات لجنة خاصة منذ الدورة الأولى للمجمع ، أسهم فيها كبار اللغويين وعلماء الأصوات من أعضاء المجمع وخبرائه ، كما أقيمت في مجلس المجمع ومؤتمره بحوث في أصول اللهجات وتطورها ونشرت في مجلته مقالات تناولت كثيرا من مشاكل اللهجات . ولم يكتف المجمع بتنظيم دراسة علمية في اللهجات العربية الحديثة ، بل امتد بحثه الى اللهجات القديمة ، فوضع نظاما لدراسة الأصوات واللهجات العربية وكيفية تسجيلها ، ورسم طريقة لكتابة نصوص اللهجات بحروف عربية ، ودعا الى وضع الأطالس اللغوية وقدم نماذج منها . وعرض للهجات عربية شمالية سابقة على الاسلام ، وللصلة بين العربية الفصحى ولغة حمورابي وبين المصرية القديمة واللغات السامية . واستوقفه غير مرة تباين اللهجات وتبليها ،

كتاب المجمع السنوي الخاص بالمصطلحات ، وهو « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » التي صدر منها الى الآن ثلاثة عشر مجلدا ، ويحرص المجمع على أن يتأني في الدرس والمراجعة ولا يتردد في أن يعيد النظر في مصطلحاته ان دعا الأمر ، ويقف عليها في اختصار جل وقته ، وفي تكوينه واشتماله على صفوة من أدباء العرب وعلمائهم ما مكنه من أن يحكم ويقرر باسم العربية جمعاء . وبذا أضحي المجمع اللغوي حجة في المصطلح العربي ، يستشار في أمره ، ويحتج برأيه . كما تقوم الى جانبه هيئات علمية تعاونه معاونة صادقة .

فقد تردد المجمع زمنا في المنهج المطلوب لوضع المصطلحات واقرارها ، أخترع أم يسجل ؟ أعرب أم يحبي الألفاظ القديمة ؟ أقبل العامة أم يأخذ من الفصحى وحدها ؟ أسلم بالنحت أم يرفضه ؟ وقد استطاع أخيرا أن يلائم بين هذا كله ، فهو يؤمن أن مهمته الأولى أن يسجل ما اصطلاح عليه المختصون ما دام لا يتعارض مع أصول اللغة . وقد دعا ولا يزال يدعو الى جمع المصطلحات العربية القديمة ، وشجع عليها بجوائز خاصة . ولكنه يرى أن هذه المصطلحات أصبحت لا تفي بالحاجة ، وأن البحث العلمي الحديث في تنوعه وتشعبه بات يتطلب وسائل أوسع وأنجع ، ومن بينها أن يعرب كما عرب العرب قديما ، وأن ينحت أيضا ، فان أنكر النحت علماء فقد نصره آخرون ويميل المجمع الى أن يتخفف منه ، لأنه قد يؤدي الى تكوين ألفاظ أشد غرابة من الألفاظ العربية . وعلى كل حال ، فان المجمع لم يخرج في صوغ

وسعى الى التقريب بينها ومحاولة توحيد النطق بالحروف الهجائية العربية الحديثة كأصول اللهجة العراقية والشعر العامي في نجد ، وعامية لبستان سورية ، والأصول العربية لبعض اللهجات السودانية ، وأثر البربرية في عربية المغرب ، وعني باللهجة المصرية ، فبين تاريخها والعوامل التي أثرت فيها وما سرى اليها من ألفاظ فارسية وتركية والصلة بينها وبين الفصحى . وقد ظهرت من بحوث المجمع في هذا المجال بعض الحقائق المهمة في ميدان اللهجات ، منها أن الكثرة العظمى من ألفاظ العامة المصرية عربية الأصل ، وان من اليسر ردها الى أصولها بحيث يمكن الاستفادة منها في مستحدثات العلم والحضارة . وهناك ألفاظ عامة شائعة في الأقطار العربية جميعها جذيرة بالأخذ والتسجيل .

فقد غني المجمع ايماء عناية بالمصطلحات العلمية ، غني بها أول الأمر وحده قبل أن تنشط حركة التأليف العلمي ، واضطلع بالعبء وأعد له العدة من محررين وخبراء ومعاجم خاصة ودوائر معارف . وكون لجانا مختلفة أصبحت الآن مستوعبة لكل فنون المعرفة ، فهناك لجان العلوم مثل : الطب ، والاحياء ، والزراعة ، والكيمياء ، والصيدلة ، والطبيعة ، والجيولوجيا . وهناك لجان الرياضة ، وهناك لجان العلوم الانسانية ، مثل لجنة : العلوم الفلسفية ، والاجتماعية ، والجغرافيا ، والحضارة القديمة والوسطى ، والتاريخ الحديث ، والتربية وعلم النفس ، واللهجات ، وألفاظ الحضارة الحديثة ، والأدب ، والأصول ، والألفاظ والأساليب ، وتيسير الكتابة . وتنشر المصطلحات العلمية في



المصطلح العلمي عن وسائل الوضع اللغوي المألوفة ، فأجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر ، وترخص في أمر تلك القاعدة المشهورة من أنه « لا يشتق من الجامد » ، ولم يخرج في هذه الرخصة عن الف العرب واستعمالهم ، فيقال : مكهرب ومغنت من الكهرباء والمغنتيس ، كما قال العرب : مذهب ومفضض . وقال بقياسية المصدر الصناعي ، فيكفي لتكوينه أن يضاف الى الكلمة ياء نسب وتاء تأنيث فيقال : المثالية والكانطية ، كما قيل قديما : الجبرية والفردية . ولهذا المصدر أهميته في الدلالة على المعاني العلمية الدقيقة ، وخاصة أسماء المذاهب والنظريات مما هو مختوم بـ « ISM » في اللغات الأوروبية . وحاول مجمع اللغة العربية أن يقيس أوزانا فيما لم يقل بالقياس فيه ، لأداء دلالات خاصة ، فصاغ قياسا اسم الآلة من الثلاثي على وزن مفعول ومفعول ومفعلة ، ووزن فعالة للدلالة على الحرفة كزراعة وصناعة ووزن فعال للدلالة على الداء كزكام وصدا ، وفعال أو فعيل للدلالة على الصوت . وأجاز النسب الى جمع التكسير كأحيائي ، ورأى زيادة الألف والنون قبل ياء النسبة بالشئ المنسوب اليه كسمائي ، ورأى أيضا دخول « ال » على « لا » النافية مثل « اللاهوائي » و « اللامائي » . وفي هذا ما يساعد على الضبط والدقة ، ويمكن الباحثين من التفرقة بين المعاني المختلفة . وحاول أن يضع مقابلات لبعض الصيغ الأجنبية الكثيرة الورد ، مثل « أن يفعل » لصيغة « Able » . وقد رسم المجمع للتعريب ضوابط تنظمه وتعين على الافادة منه . ومن تجربته الطويلة في جمع المصطلحات واقرارها روئي أن يؤدي المعنى الواحد بلفظ واحد وأن يكون هذا اللفظ صالحا للاشتقاق والنسبة اليه ، واشترط الوضوح والدقة في معنى المصطلح العربي ، وكره أن يترجم المصطلح الأجنبي بجملته أو بلفظين مترادفين ، وسلم بأن يختص كل علم بمصطلحاته وأن يستعمل اللفظ الواحد أحيانا في معان مختلفة باختلاف العلوم ، ولكنه تشدد في توحيد المصطلحات المشتركة التي لا تتغير دلالتها من علم ، والترم بأن يقرن المصطلح العربي بمقابلته الأجنبي ، ولا بأس بالاشارة

الى الأصل اليوناني أو اللاتيني . وفي أول عهده كان يكفي بوضع المقابل الأجنبي أمام المصطلح العربي ولكنه اشترط فيما بعد أن يعرف المصطلح ليفهم على وجهه الصحيح وتبين مدى دقته . ويبدو من هذه التجربة الطويلة أن العربية ليست أقل استجابة لمقتضيات العلم من أية لغة أخرى ، وكم من مصطلح عربي ألصق بمعناه وأدق في دلالاته من مصطلح أجنبي . ويخرج المجمع اللغوي مصطلحاته مستوفية لكل هذه الشروط ، فلا غرو ان أقبل عليها جميع المشتغلين بالعلم وكثر استعمالها في مؤلفاتهم وتلك وسيلة مهمة لتوحيد المصطلح العربي .

وقد عرض المجمع لألفاظ الحياة العامة ، لأنها جزء من متن اللغة كثير الورد والاستعمال وأنه كان عليه أن يتخير من بينها ما ينبغي أن يدخل المعجمات الحديثة . وقد عرض لها في دوراته الثلاث الأولى ، ثم انصرف عنها جملة الى المصطلحات العلمية والفنية ، ولم يعد اليها الا بعد نحو عشر سنين بدفعة قوية من أحد أعضائه ورئيسه فيما بعد . فقد اقترح المرحوم الأستاذ « أحمد لطفي السيد » تكوين هيئة لجمعها من واقع الحياة في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة ، تمهيدا لوضع معجم خاص فيها يمكن الافادة منه في المعجمات اللغوية . وعاد اليها أخيرا في لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة . ويحرص المجمع على الا يقر منها الا ما استقر وشاع ، وأن يصل فيها الى ضرب من التوفيق والتقريب بين البلاد العربية .

هذا ويقف مجمع اللغة العربية جهدا كبيرا على جمع المصطلحات ومناقشتها واقرارها ، ويأخذ في الأغلب بما يقوله الخبراء والمتخصصون . ومهما توسع في التعريب فلم تزد قط نسبة ما قبله من ألفاظ أجنبية في معظم المواد على ٥ في المائة من مجموع ما أقر من مصطلحاتها . وقد أخرج قديما كراسات في مصطلحات بعض العلوم ، ومنذ سنة ١٩٤٢ أخرج ست مجموعات كبيرة تشمل على الآلاف من مصطلحات العلوم المختلفة . ويحرص في السنوات الأخيرة على أن يخرج كل عام مجموعة تشمل على ما يقره مؤتمره السنوي من مصطلحات . ولا شك في أن هذه المجموعات

تعد نواة المعاجم العلمية والفنية الخاصة . ولقد كان من أهم أغراض مجمع اللغة العربية أن يقوم بوضع « معجم تاريخي للغة العربية » . وتحقيقا لذلك ، كون في الدورة الأولى « لجنة المعجم » من كبار اللغويين العرب والمستعربين ، فحددت الخطة ورسمت المعالم الرئيسية لما ينبغي أن يكون عليه المعجم العربي في القرن العشرين . وقد بحثت اللجنة كثيرا وأملت بالموضوع من جميع أطرافه ، فقسمت الأدب العربي الى عصور ، وحاولت حصر المعاجم وكتب اللغة التي يرجع اليها ، ووضعت لها رموزا تدل عليها ، وأوصت بتصنيف المعاجم لتدارك ما فيها من نقص ، ودعت الى تتبع كتب الأدب لجمع ما تظفر به من ألفاظ وتعبيرات فانت أصحاب المعاجم السابقة ، واستعرضت مناهج بعض المعاجم الأوروبية الحديثة وخاصة معجم أكسفورد . وبالجملته فإن المجمع عني عناية تامة بمنهج تأليف المعاجم ودرسه على مختلف وجوهه ، وقام فيه بعدة تجارب ، حتى استقامت له خطة واضحة . وقد استكمل هذه الخطة بطائفة من المبادئ لها شأنها في وضع المعجم وتأليفه ، فهو يرى أولا أن اللغة العربية توجد في كتب الأدب والعلم وفيما يجري على السنة الناس من حوار ومناقشة الى جانب ما يجري في المعجمات . ويرى ثانيا أن اللغة العربية قديمة وحديثة معا ، ولذا فانه من الواجب ألا نقف بها عند القرن الثاني أو الرابع للهجرة كما صنع القدماء الذين لم يعتدوا بما ورد بعد ذلك من نظم أو نثر ، فإن معجم القرن العشرين كما يرى المجمع ، يجب أن يعبر عن اللغة في مختلف عصورها فيضع ألفاظا حديثة الى جانبها ما وضع في الجاهلية وصدر الاسلام . ويرى أخيرا أن من حق المحدثين أن يقيسوا كما قاس القدماء ويشفقوا ويصرفوا . وفي ضوء هذه المبادئ سار المجمع في المعاجم التي أحبلت عليه ليبدلي فيها برأي مثل « معجم خلف » و « معجم النجاري » ، وفي المعاجم التي أصدرها ، مثل معجم « فيشر » والمعجم الكبير والمعجم الوسيط ومعجم ألفاظ القرآن الكريم . وستكلم عنها ان شاء الله عند عرض مطبوعات المجمع .

بالنسبة لتيسير النحو ، فإن المجمع قصد منذ نشأته الى تيسير اللغة متنا وقواعد ، وترخص في ذلك ما وسعه ، فهو - كما ذكرنا من قبل - اجاز القياس بوجه عام ، وأخذ ببعض الآراء المرجوحة ان كان فيها ما يتلائم مع حاجات العصر ومستلزمات العلم والحضارة . فقال بقياسية التضمن والمصدر الصناعي ، وجمع الجمع ، والاشتقاق من أسماء الأعيان ، وتعدية الثلاثي بالهمزة أو التضعيف . وقاس صيغا للدلالة على الحرفة أو الداء أو اسم الآلة ، كما قاس مطاوع فعل وفعل وفاعل وتفاعل واستفعل . وأجاز جمع المصدر والنسب الى جمع التكسير ، وتكملة مادة لغوية لم يذكر بقيتها في المعاجم ، وعطف الأقل على الأكثر في الاعداد المركبة مع المائة وان كان الأرجح العكس .

أما تيسير الكتابة العربية ، فقد استوقفت المجمع مشكلاته منذ انشائه ، وأخذ يعالجها علاجاً متصلاً منذ سنة ١٩٣٨ ، عيّنت بها لجنة الأصول ولجنة اللهجات ، وأنشئت من أجلها لجنة خاصة هي لجنة تيسير الكتابة . وقد أثير بحثها غير مرة في مجلس المجمع ومؤتمره وأسهم في حلها أعضاء المجمع أنفسهم ، وأشترك معهم الخبراء والفنيون من رجال الخط والطباعة . ووضعت فيها باستقلال رسائل متلاحقة تبين وجهات النظر أو تعرض بعض المقترحات . وانتهى المجمع الى حلول فيها كثير من التبسيط والتيسير ، ولا يزال يضع المشكلة نصب عينيه ، مرتقباً ما يمكن أن يسفر عنه البحث من اصلاح وتجديد .

ولقد عرض المجمع أيضاً لموضوع تيسير الاملاء غير مرة ، واستمع فيه الى بحوث من أعضائه ، وتلقى فيه تقارير مختلفة من وزارة التربية ومن بعض الهيئات العلمية ، ولم ينته المجمع فيه بعد الى قرارات تتعادل مع ما بذل في سبيله من جهد .

ويشجع مجمع اللغة العربية الانتاج الأدبي فلجنة الأدب به - الى جانب انتاجها في مجال المصطلحات الأدبية - تعلن كل عام عن جوائز أدبية لموضوعات تقترحها ، وهي اما قصة -

وقد نالت تشجيعاً كبيراً من المجمع - واما رواية مسرحية ، واما تحقيق كتاب قديم ، واما بحثاً حول شخصية عربية . وقد ظفر بجائزته كثير من كبار كتاب القصة ، وأكثر من واحد في مجال التحقيق العلمي . ولم يقف المجمع عند الجوائز المادية ، بل رأى أن يتوج بعض الانتاج فتوج أول ما توج شعر خليل مطران ، وتوج من بعده الانتاج القصصي بالعربية الفصحى لمحمود تيمور ، ونوه بمجموعة شعر الكاظمي . ويعني المجمع بنشر النصوص القديمة على الطريقة العلمية . وقد أخرج لعشاق التراث بعض الكتب الثمينة . وقد نشط أخيراً في هذا المجال الأمر الذي سيكون له أكبر الأثر في ازدهار التحقيق .

مطبوعات المجمع

لقد كان من أهم أغراض المجمع أن يحافظ على سلامة اللغة وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة لحاجات الحياة في هذا العصر الحاضر ، وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية . وقبل أن نتحدث عن المعاجم التي أصدرها المجمع نذكر أن ترتيب هذه المعاجم يسير حسب الترتيب المألوف لحروف الهجاء العربية على اعتبار الحرف الأول والثاني والثالث ، وهو ترتيب « أساس البلاغة » للزمخشري و « المصباح المنير » للفيومي . أما الترتيب الداخلي للمادة فيبدأ بإيراد الفعل المجرد ثم المزيد بحرف وحرفين وثلاثة ، فاذا ما انتهى من ذكر الأفعال عرض الأسماء مرتبة على نظام ترتيب الأفعال .

المعجم اللغوي التاريخي (معجم فيشر)

يرجع تفكير « فيشر » في معجمه الى العقد الأول من هذا القرن . ولقد عرض موضوع هذا المعجم سنة ١٩٠٧ في بال « Basel » على المستشرقين الألمان في الاجتماع التاسع والأربعين للغرين والمدرسين الألمان وقد ذكر أن المعاجم العربية التي ألفها الغربيون ، وبخاصة تلك التي عالجت الفصحى في عهدها القديم ، لا تفي بالمطالب العلمية ، وذلك لأسباب منها : أنها

لم تعتمد على كتب الأدب ، بل نشأت من المعاجم التي ألفها العرب . ورأى ألا يتفرد بعمل هذا المعجم ، بل أنه ينبغي إشراك غيره معه . وقد كان « فيشر » عضواً في المجمع ورغب أن يتبنى المجمع معجمه . وكان قد رتبته حسب الترتيب المألوف ، وعرض كل كلمة من كلمات اللغة حسب وجهات النظر السبع التالية : التاريخية ، والاشتقاقية ، والتصريفية ، والتعبيرية والنحوية ، والبيان ، والأسلوبية . وكان منهجه ألا يقتصر في استشهاده عند عصر معين ، كما كان يفعل القدماء الذين اقتصروا على عصور الاحتجاج ونهايتها في أواخر القرن الثاني في الحضارة ومتصف القرن الرابع في البادية ، وعدوا من عاش فيما تلا ذلك من عصور مولداً . أما هو فقد رأى الاحتجاج بكل العصور ، حتى العصر الحديث ، الا أنه في النموذج الذي طبعه المجمع وقف بالشواهد الى نهاية القرن الثالث الهجري . وقد قال « فيشر » في مقدمته أنه ليس من الضروري اثبات كل الشواهد التي وردت على كلمة ما في المعجم ، اذ أن هذا قد يؤدي الى البلبلة عند اثبات كل كلمة كثيرة التداول ، كما يتطلب تطويراً لا موجب له ، بل يجب الاقتصاد على اثبات الشواهد التي تدل على الأطوار التاريخية للكلمة . ويجب العناية - كما يقول فيشر - بأخر تطور وصلت اليه الكلمة ، وهل بقيت مدة طويلة في أفواه الناس أو اندثر معنى من معانيها واستعفى عنها بمرادف لها . والشواهد يجب أن تسجل على حسب الترتيب التاريخي ، واذا تعددت الشواهد يقتصر على أوضحها معنى ويقدم المنسوب الى قائله ويهمل غيره .

وفي أعقاب وفاة « فيشر » في عام ١٩٤٩ ، حاول المجمع أن يجمع أصول معجمه ، ما كان منها بمصر وما كان بألمانيا ، وكان نصيب المجمع جزازات غير مستوفاة . ونشر المجمع مقدمة ونموذجاً من أول الهمزة الى « أ ب د » ، سنة ١٩٥٠ بعنوان « المعجم اللغوي التاريخي » . ثم أعاد طبعه ، وأضاف اليه جدول رموز للكتب التي نقلت عنها الشواهد وبعض الملاحظات مع رموز أخرى استعملت في المعجم ، وكان ذلك سنة ١٩٦٧ .



المعجم الوسيط

طلبت وزارة المعارف المصرية الى المعجم أن يخرج للعالم العربي معجما على النمط الحديث بحيث يكون سهل التناول ، ويشتمل على صور لكل ما يحتاج شرحه الى تصوير وعلى مصطلحات العلوم والفنون . وقد قرر المعجم البدء في هذا العمل نظرا الى حاجة طلاب التعليم الثانوي ومن في مرتبتهم وجمهرة المثقفين من أبناء الأمة العربية الى معجم لغوي وسيط يسير الترتيب يتناول المصطلحات العلمية الصحيحة . وقد وكل أمره لأربعة من أعضاء المعجم هم الأساتذة أحمد حسن الزيات ، وإبراهيم مصطفى ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار يعاونهم في ذلك بعض المحررين . وقد صدر الجزء الأول منه في عام ١٩٦٠ والجزء الثاني في عام ١٩٦١ . وهو يشتمل على ٣٠ ألف مادة و ٦٠٠ صورة . وقد صدر منه عشرة آلاف نسخة أوشكت على النفاد ، ويعتزم المعجم اعادة طبعه على ضوء الملاحظات التي أبدت على الطبعة الأولى .

المعجم الكبير

رأى المعجم أن يخرج للناس معجما كبيرا ، فدرس الفكرة واستقر بعد مناقشات ودراسات على المنهج ، وأخرج جزءا كتبرية في ٥٠٠ صفحة . وبعد دراسات وافية للملاحظات التي تلقاها المعجم من العلماء ، استقر الرأي على تأليفه بطريقة سهلة تيسر على الباحث العثور على هدفه بسهولة ويسر . ويبدأ هذا المنهج بذكر أصل المادة في كل اللغات السامية ، ان وجد ، ثم يذكر معانيها الكلية ، وينقل عن « ابن فارس » ما ذكره من معان كلية لها . ثم يتناول المادة كلا دون تجزئة بين معنى وآخر مبتدئا بالأفعال : المجرد اللازم ، فالمتعدي ، فالزيد ، ثم الأسماء متبعا في ترتيبها النظام الأبجدي . وقد حرص المعجم على أن يستشهد على ألفاظه ، بنصوص من الشعر والنثر على اختلاف العصور مع ترتيبها ترتيبا تاريخيا ، كما حرص على أن يثبت من مصطلحات العلوم على اختلافها ما يشيع

بين المثقفين ويصبح جزءا من اللغة العامة . وقد صدر جزء من هذا المعجم في سنة ١٩٧٠ يقع في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ويشمل مواد صرف الحمزة ، معززا بالصور لتوضيح المعنى في مواد كثيرة . وتتابع اللجنة اعداد المواد ، وقد أنجزت الى الآن حرف الباء .

معجم ألفاظ القرآن الكريم

صدر الجزء الأول من هذا المعجم في سنة ١٩٥٣ بمقدمة توضح تطورات العمل فيه ومنهجه كما شمل مواد حروف : الحمزة والباء والتاء ويقع في ١٨٥ صفحة ، وصدر الجزء الثاني في عام ١٩٥٩ مشتملا على مواد حروف : الجيم والحاء والخاء والذال والذال ويقع في ٢٦٥ صفحة ، ثم صدر الجزء الثالث في سنة ١٩٦١ محتويا على مواد الحروف : الراء والزاي والسين في ١٩٢ صفحة ثم رأى المعجم لسرعة انجاز هذا العمل أن يقسم الباقي من المعجم بعد حرف الشين على ثلاثة أعضاء لاعداده اعدادا نهائيا هم الأساتذة أمين الخولي ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار رحمهم الله . فقام الأول باعداد الجزء الرابع ويشمل حروف الصاد الى الفاء بالاضافة الى حرف الشين الذي كان قد أعدته اللجنة مجتمعة ، وقد نشر في سنة ١٩٦٨ في ٣٥٦ صفحة ، وقام الثاني باعداد الجزء الخامس ويشمل مواد حروف القاف والكاف واللام وقد نشر في سنة ١٩٦٩ في ٢٥٢ صفحة ، وقام الثالث باعداد بقية المعجم ونشر في الجزء السادس في سنة ١٩٧٠ في ٣١٨ صفحة . وصدرت أخيرا طبعة جديدة من هذا المعجم في جزئين كبيرين . والمنهج الذي اتبع في اعداد هذا المعجم هو :

أولا - اذا كانت الكلمة القرآنية ترد في القرآن بمعنى واحد : تشرح الكلمة شرحا لغويا أولا . فان كانت فعلا مجردا ذكر بابها ومصدره ومشتقاته ، ان كان لهذه المشتقات ورود في القرآن الكريم ، وان كانت فعلا مزيدا ذكر معناه ثم ذكرت مشتقاته على النحو السابق ، وان كانت اسما اكتفي بمعناه ، وان كانت مصدرا ذكر معناه وفعله . ثم يبين أن الكلمة وردت في

القرآن الكريم في كذا موضعا ، وأنها جاءت في كل هذه المواضع بالمعنى الذي ذكر آفا . ثانيا - اذا كانت للكلمة القرآنية معان لغوية مختلفة : ينص على المعاني اللغوية كلها ، ويبين نوع الفعل والمصدر ، وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادة . وتؤخذ أولا أكثر المعاني دورانا في القرآن الكريم ، وينص على أن الكلمة وردت بهذا المعنى في كذا وكذا موضعا ويذكر مثالان من الآيات مع اسم السورة ورقم الآية ، ثم يكتفى بعد ذلك بما جاء من هذا المعنى بذكر السورة ورقم الآية . وتذكر المعاني الأخرى ، معنى بعد آخر ، ويذكر بعد كل معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة بهذا المعنى ، ويكتفى بمثال ، ثم تذكر السور وأرقام الآيات الأخرى .

ثالثا - قد يسهل أحيانا اذا كان للكلمة أكثر من معنى أن يبدأ بالمعاني التي وردت في قليل من الآيات ، ثم يذكر المعنى الذي ورد به كثير من الآيات ، ويقال : ما عدا ذلك فهو بمعنى كذا في باقي الآيات .

رابعا - اذا كان للكلمة معنى لغوي واحد ، ولكنها استعملت في القرآن الكريم بألوان مختلفة بسبب المجاز أو نحوه ، نص على المعنى اللغوي البحت وقيل أنها تستعمل أو قد ترد بمعنى كذا ، ثم تذكر الآيات وأرقامها على النحو السابق .

مجاميع المصطلحات ، والمعجم الخاصة

عالج المعجم المصطلحات منذ دورته الأولى بعدما كانت المصطلحات تقدم دون تعريف ، ثم بدئ بتعريفها منذ الدورة الرابعة عشرة . والمصطلحات التي درسها مجمع اللغة العربية ، تتصل بعلوم : القانون ، والاقتصاد ، والطب ، والكيمياء ، والصيدلة ، والجيولوجيا ، والعلوم الطبية ، والرياضيات ، والنبات ، والاحياء ، والفلسفة ، والتربية ، وعلم النفس ، والجغرافيا ، وفن الطباعة ، والرسم ، والتصوير ، والموسيقى ، وعلم اللغة ، ومصطلحات المؤتمرات ، وألفاظ الحضارة .

وكان المعجم في بادئ الأمر ينشر مصطلحاته في مجلته الخاصة به ، ثم تولى نشرها

بعد ذلك في كتيبات تحوي مصطلحات في علم معين. ففي عام ١٩٥١، نشر مصطلحات القانون المدني، ونشر في العام نفسه مصطلحات القانون التجاري كما نشر في سنة ١٩٥١ أيضا مصطلحات علم الصحة، وفي سنة ١٩٥٢ المصطلحات الكيميائية، وفي سنة ١٩٥٧ أصدر الجزء الأول من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ويقع في ٦٣٨ صفحة من القطع الكبير. ثم نشر الجزء الثاني منه في سنة ١٩٦٠. وقد واصل المجموع نشر المصطلحات العلمية والفنية في أجزاء متعاقبة بلغت الى الآن أربعة عشر جزءا.

وقد دأب المجموع منذ بضع سنوات على نشر معاجم اصطلاحية مختلفة نشر منها حتى الآن معجم في الجيولوجيا، وآخر في الجغرافيا، ويتابع حاليا نشر المعجم الفلسفي وقد وصل فيه الى حرف (R)، كما يتابع نشر معجم المصطلحات اللغوية، وهو الآن بصدد اعداد الجزء الأول من المعجم الطبي. هذا ويبلغ عدد المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجموع حتى الآن قرابة مائة ألف مصطلح في مختلف العلوم والفنون.

البحوث والمحاضرات ومحاضرات الجلسات

درج المجموع على أن ينشر البحوث والمحاضرات التي يلقيها السادة أعضاء المؤتمر في مجلته الرسمية ثم ارتأى في سنة ١٩٥٩ نشر هذه البحوث والمحاضرات مستقلة مرفقا بها المناقشات التي دارت حولها، والبحوث التي ينشرها المجموع عادة بحوث علمية تبحث في شؤون اللغة والأدب.

كما حرص المجموع، منذ الدورة الأولى لافتتاحه، على نشر محاضرات جلساته ما أمكنه ذلك، والجهود ماضية الآن لاستدراك ما فات منها وطباعته.

مجلة المجمع

صدر منها حتى الآن سبعة وعشرون مجلدا. وكانت في أول ظهورها مجالا لنشر نشاطات المجموع من بحوث ومصطلحات. ولكنها بعد أن أصدر المجموع مجاميع المصطلحات، وبعد أن

استأنف نشر محاضرات جلساته، أصبحت مقصورة على بحوث المجمعين وغيرهم من العلماء. وكانت المجلة تصدر مرة كل عام، فأصبحت تصدر نصف سنوية. وهي سجل حافل للأبحاث الجادة العميقة التي تصيف جديدا الى صرح العلم واللغة.

مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما

أخرج المجموع في عام ١٩٦٢ بمناسبة مرور ثلاثين عاما على انشائه كتابا ذا أجزاء ثلاثة: الأول عن «ماضيه وحاضره» للدكتور ابراهيم مذكور الأمين العام للمجمع، يورخ فيه للمجموع منذ صدور مرسوم انشائه سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٦٢، قدم له بفصل عن المجموع الفرنسي، ثم تحدث عن نشأة المجموع وتكوينه وأغراضه، والجهاز الذي يقوم عليه من أعضاء وخبراء ومحررين وموظفين إداريين، وتكلم عن إنتاجه من مطبوعات وجهوده في خدمة اللغة. والحق به المراسيم والقوانين والقرارات واللوائح الخاصة بنظامه. والجزء الثاني عن نشاطات أعضائه، للدكتور محمد مهدي علام والمرحوم الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله، والأستاذ ضاحي عبد الباقي. وقد تحدث المؤلفون فيه عن مائة عضو شغلوا كراسي المجموع مع ذكر تاريخ حياتهم وإنتاجهم العلمي وتاريخ تعيينهم في المجموع وجهودهم فيه.

والثالث عن القرارات العلمية للاستاذين محمد خلف الله أحمد، ومحمد شوقي أمين، وقد تناولوا فيه الحديث عن القرارات العلمية التي أصدرها المجموع منذ الدورة الأولى حتى الدورة الثامنة والعشرين.

في أصول اللغة

وهو امتداد لكتاب القرارات العلمية السابق، ويتناول القرارات التي صدرت في الدورات المتعاقبة ابتداء من الدورة التاسعة والعشرين الى الدورة الرابعة والثلاثين.

كتاب عمارة المبني وفضائه المنهجي في النسب

وهو كتاب لأبي بكر محمد بن أبي عثمان الخازمي الهمداني، من علماء القرن السادس

المجري (المتوفى سنة ٥٥٨٤هـ). وقد حققه تحقيقا علميا وعلق عليه وفهرس له الاستاذ المغربي عبد الله كونون عضو المجمع، ويقع في ١٥٥ صفحة. ويتناول الكتاب الأنساب العربية حيث رتبته مؤلفه على حروف المعجم وأرجع كل نسب الى أصله وذكر في كل نسب شخصا أو أكثر ممن يتسبون اليه من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين والشعراء والفرسان وغيرهم. وهو يعد بمثابة معجم صغير لمعرفة أنساب المشهورين والبارزين.

اللسنة والذوق والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية

مؤلف هذا الكتاب «الحسن بن محمد ابن الحسن الصغاني» (المتوفى في سنة ٦٥٠هـ)، وهو من كبار اللغويين. وقد استدرك بكتابه هذا على ما فات الجوهرى (المتوفى سنة ٨٣٩٣هـ) في كتابه «تاج اللغة وصحاح العربية» المعروف بالصحاح. ويقول الصغاني: أنه أخذ استدراكه من نحو ألف كتاب في غريب الحديث واللغة والنحو وأخبار العرب وغيرها. وقد اتبع في ترتيبه ترتيب الجوهرى حسب الحرف الأخير على نظام الباب والفصل. وقد كون المجموع لجنة لتحقيقه، وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٧٠ ويقع في ٥١٣ صفحة من القطع الكبير بتحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي ومراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن، عضو المجمع.

• • • • •

وبعد، فهذه فكرة مقتضبة عن مجمع اللغة العربية الذي يعمل أعضاؤه في صمت بعيدين عن الأضواء، ولكن عقولهم تشع نورا يضيء سبيل السالكين في العلم وينير طريق الباحثين عن المعرفة. وقد أخرج للناس قرابة المائة مجلد ما بين مصطلحات علمية وأبحاث لغوية وعلم قديم محقق وآراء طريفة حملت التجديد ويسرت الصعب وصححت الأخطاء وقومت الألسنة. ولو تسرت له الامكانيات اللازمة من بدء انشائه لأخرج لطالبي العلم أضعاف ما أخرج من بحوث عميقة جادة

سعيد زاهد - القاهرة



القَطْعُ بِرَأْيٍ أَوْ عَمَلٍ مِنْ تَرْكِبِي

بقلم الأستاذ سمير سنجاني

يَنْطَلِبُ من كل فرد اتخاذ القرارات المختلفة في شأن من الشؤون أو أكثر كل يوم . وبعض هذه القرارات عواقبها بسيطة ، في حين أن بعضها الآخر يمكن أن يغير مجرى حياة المرء كلها . إلا أن العجز عن القطع برأي في حالة معينة أسوأ كثيرا من عدم القطع برأي ما ، فالتردد كان السبب في حالات عديدة من الفشل .

ورب قائل : « ان الظروف لم تكن ملائمة لي .. ولا يسعني قط تقرير ما يجب عمله ، فإذا أنا فعلت هذا الشيء ، لن يكون بإمكانني أن أفعل الشيء الآخر ، وأنا أود أن أفعل الشئين معا . ان مثل هذا الشخص ، اذا ما التزم هذا الموقف الذهني ، فانه سيتهي حتما الى عدم عمل شيء فيخسر المشروعين معا ، لأنه يفتقر الى القرار الذي ينبغي له اتخاذه لمواجهة قضية معينة سلوك سبيل العمل السوي .

ان قوة الابتكار تصبح عاجزة ومشلولة ان لم يصاحبها القطع برأي ، فالعقل الواعي حين يكون في حالة تشوش ، فانه يعكس ذهنيا هذه الحالة المشوشة على « العقل الباطن » الذي يتفاعل مع هذه الصورة الذهنية المشوشة ، ويعمل على أن تستمر هذه الحالة في الحياة العادية . وتكون النتائج دائما مترجحة .

« انني لا أدري أين أنا ؟ » .

غالبا ما نسمع مثل هذه العبارة يرددها الكثيرون ، وهم اذ يرددونها لا يعدون الحقيقة والصواب . فالتفكير الخاطي قد ألقاهم في هذه الارتباك . وهم ، بلا قصد منهم ، يتخلون أنفسهم في أسوأ حالات الارتباك . وأعلم أن قولك بينك وبين نفسك أنك لا تدري أين أنت ، هو السبيل الأكيد لفقدانك سيطرتك على الظروف المحيطة بك .

ان عقلك اللاواعي أشبه شيء بقطعة المغنطيس التي تجتذب اليها الأشياء التي تتصورها الا أنك تنزع مغنطيسية هذه القوة عندما يعوزك التقرير ، أو عندما تعجز عن توجيه فكرك أو عقلك نحو غاية أو هدف .

أنجز ما تبدأ

من سنين قرأت بحثا لأحد الخبراء في الخط جاء فيه : « ان أولئك الذين يوقعون أسماءهم دون أن يوضحوا الحرف الأخير منها ، قلما

ينهون ما يبدأون به في هذه الحياة . وفضلا عن ذلك يكون هؤلاء غالبا متشائمين ، يميلون الى الانسحاب بسهولة ، ويمكن تثبيط همهم بيسر » .

لقد كان لعبارة خير الخط هذه تأثير كبير علي ، فقد تفحصت توقيعي ، فبين لي أنني أتبع تلك الطريقة لدى كتابة الحرف الأخير من اسمي . ووفقا لرأي هذا الخير كان ذلك يدل على أنني من فئة أولئك الذين قلما ينهون ما يبدأونه . فقررت اذ ذاك ، أن أوضح الحرف الأخير من اسمي في كل مرة أكتبه . وهكذا ، وطوال سنين بعد ذلك ، كنت أفكر كلما طلب الي توقيع اسمي فيما يلي : « انني أنهيت ما أبدأه » . فكانت النتيجة أنني اليوم قد نمت في نفسي عادة عقلية قوية ، وهي اتمام ما آخذ على عاتقي القيام به ، بحيث أنني أشعر وكأنني مشدود الى الغاية التي أمامي . ولا فرق لدي إذا واجهتني عقبات ، أو اذا كانت المهمة ميسرة وذات نتيجة ايجابية ، أو اذا كان لدي ثمة متسع كاف من الوقت لانجازها .

وفي الواقع لا أدري اذا كان ثمة أساس حقيقي لما قاله هذا الخير بالخط ، ولكنني أدري يقينا أن هذا الخير زودني بتمرين ذهني رائع مكّني من التأثير على عقلي الباطن والربط بين طريقة توقيع اسمي وفكرة انجاز ما أبدأه من عمل . حتى تعودت أن أنهيت كل عمل أقوم به بصفة تلقائية .

ان القوة التي يكسبها المرء من خلال ترديد العزم أو التصميم تحطم عادة التشوش الذهني ، وتمنحه سيطرة جديدة متينة واثقة على نفسه .

المغلب على الشعور بالنقص

لعل عدد الذين يشكون من نوع من أنواع الشعور بالنقص يفوق عدد الذين يشكون من سائر العقد الذهنية مشتركة . وكثيرون منا ، ممن تعوزهم القدرة على التحليل الذاتي ، ربما كبلمهم شعور النقص تجاه بعض الأشخاص ، أو الأشياء خلال فترة طويلة من حياتهم دون التنبه لذلك .

لا بد أنك سمعت بعض أصدقائك يقولون : « لست أدري لماذا لا أستطيع مقابلة البشر » وهناك كذلك تعليقات أخرى تدل على وجود عقدة نقص مثل :

« أنا لا أرى ما يراه الناس في » .
« لا فائدة من تجربتي ذلك . فانا لا يمكنني أن أرجو عمل شيء كهذا » .

« أنا أخشى ما يمكن أن يكون عليه رأي فلان أو فلان » .

« ان في ذلك لمسؤولية كبرى علي . افضل أن أبقى في المنصب الذي أشغله حاليا » .

« أجل أنا أحبها ، ولكني لن أكون قط جديرا بها »
« لعلك تعتقد أنني أصلح لهذا العمل ، ولكنني شخصيا لست واثقا من ذلك . فأنا لم أقم من قبل بمثل هذا النوع من العمل ، ولست أريد أن أخيب ظنك » . « انه لأمر غريب حقا ، ولكن في كل مرة يحدثني فلان أو فلان لا أدري ما أقول »
مثل هذه العبارات تدفع الأشخاص الذين يرددونها بأنهم اعتادوا تشبيه أنفسهم تشبيها غير موثوق وفي غير مصلحتهم بأشخاص آخرين ، أو بحالات أخرى .

يتمتع كل طفل عادي الذكاء بمواهب خفية نادرة ، فإذا كان بالإمكان اكتشافها وتنميتها فانه تكون مصدر غبطة للوالدين . ويعود أصل العقد النفسية في الغالب الى الهزء من المجهود الطفولي في حضرة الناس الأمر الذي يعود بأكبر الضرر على الأطفال ، لأن كل طفل بطبيعته حساس جدا عندما يكون الأمر متعلقا بأناس أكبر منه سنا . والهزء منه والسخرية يعمقان في تفكيره الهوة بينه وبين من هم أكبر منه سنا . ولدى المقارنة يثبني للطفل قصوره وعدم كفايته دون أن يفتن في الوقت نفسه الى الفارق الكبير بين سنه وسن الآخر . وهكذا تنمو في نفسه عقدة النقص ، وتصبح باطنية ، وتستمر حتى بعد أن ينسى أصلها وسببها لزمن طويل . ولعله ليس ثمة شعور ذهني أبعث على القلق من توهم المرء أن الآخرين يقولون عنه أشياء بقصد الفمز به ، أو أنهم يفكرون فيه بأشياء محرجة وغير لائقة . وفي معظم الأحيان لا يكون هناك أساس من الصحة لمثل هذا الشعور الذي هو مجرد ترسب من السنين المبكرة .

وقلما يعلم الراشدون مبلغ حساسية الطفل وانطباعيته بالنسبة لكل ما يقال أمامه أو يصنع معه . فالتقصير في الاهتمام بقضايا الطفل اهتماما صحيحا جديا وعلى مستوى وعي الطفل نفسه ، يزرع في نفسه بذور عقدة النقص .

ان طفلا يتمتع بموهبة الرسم الطبيعية يمكن

أن يعرض أمام والده رسما عاديا ، ولكنه بالنسبة اليه رسم نموذجي . أما الوالد ، فبدلا من النظر الى الرسم من وجهة نظر ابنه ، فانه قد يعتبره نتاج انعدام النضوج والخبرة ، فيطلق بلا تفكير نقدا في غير محله . وهو اذ يفعل ذلك انما يبذل شيئا ممتازا في نفس ابنه وغريزة مشرة تسعى الى الظهور . ويأتي التعليق المرسل بلا تفكير ، فيؤثر تأثيرا سيئا في نفس الابن ، ويجعله يقتنع بأنه عاجز عن الاتيان بشيء حسن .

لذلك لا ينبغي الحكم على الأطفال ، كما يحكم العالم المختص في فنه . فذلك الصبي كان على صواب في اعتقاده أن رسمه كان نموذجيا . والواقع أن الرسم كان نموذجيا بقدر ما يمكن لموهبته الفنية النامية أن تنتج في تلك السن . ولعله لو كرر رسم الصورة نفسها بعد أسبوع أو بعد شهر مثلا ، لجاءت أفضل وأعلى مستوى بسبب الاختيار الزائد في الرسم . وفي ضوء هذا الاختبار المتكرر يكون بإمكان الصبي نفسه أن يتعرف الى النقص في رسم الأمس . وكل ما كان يحتاج اليه هذا الصبي أن يتاح له الشعور باطنيا بأن رسمه يمثل أفضل ما كان بإمكانه أن يتصور ويصنع في ذلك الوقت بالذات .

ليس في وسع أحد ، صبييا كان أو رجلا ، أن يبذل أقصى جهده اذا وعى هذا الجهد وعيا ذاتيا ، أو اذا اقترن بهذا الجهد شعور بالاحترار الذاتي .

وان القدرة على تحليل قيمة عمل ما لدى القيام به تأتي مع التدريب الطويل . وحتى تبلغ هذه القدرة أعلم أنه من المهم أن تتق بنفسك وبما تقوم به أو تنهك فيه . فالثقة بالنفس تمنح تفكيرك وتصرفك حيوية وفعالية ، مما يرفع من قيمة عملك فضلا عن أنها تسبغ على صورك الذهنية المتعلقة بالنجاح والصحة والسعادة قوة واقتناعا . أما الشعور بالنقص فانه على النقيض يمتص الحيوية ويدمرها .

ولعل من أظف الأخطاء السائدة بين الجميع مقارنة أنفسنا بسوانا . ذلك بأن المقارنة تؤدي حتما الى الشعور الطاعني بالنقص . رب شخص يشعر بأن ذاك الذي يعلوه رتبة هو انسان عظيم بسبب المركز الذي يحتله ، ولكن تلك ليست الحال دائما . فان من يشكو من هذا الشعور يمكن أن يكون في الواقع متمتعا بمهارة أعظم ،

وقدرة على الترقى والتقدم ، ولكنها قدرة يعجز عن استغلالها نظرا لميله الدائم الى الاستهانة بقيمته الذاتية .

واذا أنت فكرت مثلا ، لدى اجتماعك الى شخص معروف بالتساؤل : « ترى ما هي نظرتي الي ؟ ترى كيف أبدو ؟ ماذا ينبغي أن أقول له ؟ » فانك ولا ريب واقع تحت سيطرة الشعور بالنقص .

انك في تحويل أفكارك الى هذا الاتجاه انما ترتكب خطأ كبيرا . فعليك أن تفعل العكس تماما ، فتحول أفكارك الى الشخص الذي تجتمع اليه ، دون أن تكون أي صورة ذهنية عن أهميته وتفاهتك النسبية . ولا يغربن عن بالك أنه بالغة ما بلغت شهرة هذا الشخص ، فانه يبقى بشرا مثلك . فإذا كانت تعوزك الشهرة ، فليس معنى ذلك أنه يعوزك الذكاء ، أو الارادة ، أو الشخصية أو بعض المزايا القيمة الجديرة بتقدير هذا الشخص ولو أنك قابلت هذا الرجل دون أن تعلم أنه شخصية مهمة ، لكنت اذن نظرت اليه على أنه انسان متساو واباك عقليا ، ولما شعرت بأي نقص !

ان الاهتمام بالآخرين يولد الاهتمام . ويمكنك أن تتغلب على الخوف من عجزك عن الابقاء على جذوة الحديث متأججة ، بطرحك بعض الأسئلة على الشخص الذي تقابله .. أسئلة تستدعي التحدث عن نفسه وعن نشاطاته ، بعد أن تكون قد عرفت عنه ما تستطيع من معلومات قبل الاجتماع اليه — اذا كان ذلك ممكنا — لكي تتأهب لبده الحديث ، والابقاء عليه دائرا بسهولة وطبيعة .

ليس ثمة انسان على وجه البسيطة يمكنه أن يقاوم المجاملة من طريق اهتمام امرئ به اهتماما صادقا صحيحا . فإذا كنت تناضل ضد شعور بالنقص ، فجرب الطريقة التي تقضي بجعل الآخرين يتحدثون عن أنفسهم وفي مختلف المواضيع . اكتشف هواياتهم ، واهتماماتهم الخاصة . وعندما تكون هذه الهوايات والاهتمامات تتلاءم وهواياتك واهتماماتك توسع فيها ، وقدم تعليقات عليها من عندك . فلن يمضي طويل وقت حتى ينسبك اهتمامك في الحديث والمناقشة نفسك ، وشعورك بالعجز عن الاستمرار في الأخذ والرد . وعندما ستدهش لقوتك على التعبير بعد أن تكون قد أزلت من نفسك تأثير عقدة الشعور بالنقص ■

سمير شهباني - بيروت

النظرة إلى العمل اليد

الاهتمام بتطوير القوى البشرية وتنميتها بما فيها القوى العاملة هو أمر ضروري وحيوي بالنسبة للمجتمعات السائرة في طريق النمو . فالنهوض والتطور الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع يستلزم تكاتف جميع مقومات الانتاج من أموال وموارد طبيعية وجهد بشري .. وقد تتوفر الأموال وكذلك الموارد الطبيعية . وقد تتوفر الموارد البشرية أيضا ، ولكن توفر المهارة البشرية هي بلا شك العمل الأهم والمهم في هذا التطور . كما أن ادارة الآلات وصيانتها ، وتخطيط المصانع وتنظيمها ، وفلاحة الأراضي وجني محصولها ، وتنسيق المتاجر وتحريك أموالها ، كل هذا يحتاج الى اليد الماهرة المحترفة والى التفكير المنطقي السليم والمدعم بأحدث وسائل التعليم والتدريب .

وبناء القوى العاملة الوطنية وتطويرها هو جزء مهم وحيوي في عملية البناء الشامل للقوى البشرية والتي تتمثل في عناصر المجتمع وطبقاته دون النظر الى الجنس أو الطبقة الاجتماعية أو الحرفة المهنية .. فالمدرس والعسكري والقاضي والطالب وربة المنزل والفلاح والعامل والمحامي كل هؤلاء يمثلون في مجموعهم ما يقصد بتعبير « القوى البشرية » .. ومن ناحية أخرى فان بناء القوى البشرية في المجتمع وتطويرها تقتضي توافر برامج متعددة مثلة في التعليم والتدريب والخدمات الصحية والاجتماعية والتربية الرياضية والموسيقية والفنية وكل ما له فائدة وعلاقة بتوسيع مدارك الفرد وصقل مواهبه .

الاهتمام بتطوير القوى البشرية وتنميتها بما فيها القوى العاملة هو أمر ضروري وحيوي بالنسبة للمجتمعات السائرة في طريق النمو . فالنهوض والتطور الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع يستلزم تكاتف جميع مقومات الانتاج من أموال وموارد طبيعية وجهد بشري .. وقد تتوفر الأموال وكذلك الموارد الطبيعية . وقد تتوفر الموارد البشرية أيضا ، ولكن توفر المهارة البشرية هي بلا شك العمل الأهم والمهم في هذا التطور . كما أن ادارة الآلات وصيانتها ، وتخطيط المصانع وتنظيمها ، وفلاحة الأراضي وجني محصولها ، وتنسيق المتاجر وتحريك أموالها ، كل هذا يحتاج الى اليد الماهرة المحترفة والى التفكير المنطقي السليم والمدعم بأحدث وسائل التعليم والتدريب .

وبناء القوى العاملة الوطنية وتطويرها هو جزء مهم وحيوي في عملية البناء الشامل للقوى البشرية والتي تتمثل في عناصر المجتمع وطبقاته دون النظر الى الجنس أو الطبقة الاجتماعية أو الحرفة المهنية .. فالمدرس والعسكري والقاضي والطالب وربة المنزل والفلاح والعامل والمحامي كل هؤلاء يمثلون في مجموعهم ما يقصد بتعبير « القوى البشرية » .. ومن ناحية أخرى فان بناء القوى البشرية في المجتمع وتطويرها تقتضي توافر برامج متعددة مثلة في التعليم والتدريب والخدمات الصحية والاجتماعية والتربية الرياضية والموسيقية والفنية وكل ما له فائدة وعلاقة بتوسيع مدارك الفرد وصقل مواهبه .

بقلم الدكتور مدني عبدالقادر عمري

نِشَارُهُ عَلَى بَرَاجِ تَطْوِيرِ الْقُوَى الْعَامِلَةِ

عناصر البطالة ان وجدت ، وهي تختلف عن برامج تطوير القوى البشرية في أن الأخيرة أعم وأشمل بصفاتها لا تتناول قطاعا معينا في المجتمع ولا برنامجا محددا ، وإنما تشمل جميع الأفراد والطبقات دون تمييز للعمر ولا للجنس أو المكان أو طبيعة العمل .. وأهداف تنمية القوى البشرية وتطويرها واضحة ، وتتمثل في رفع قدرات الأفراد وتوسيع مداركهم وتتاح لهم بالتالي فرصة الاسهام في حقل الانتاج وزيادة معدل نموه المحلي والاجمالي .

ولعل من أبرز الدوافع والأهداف التي ترتكز عليها برامج تطوير القوى العاملة في مجتمع ما :
• القضاء على البطالة ومحاربة جميع عناصرها .
وذلك بفتح مجال العمل في ايجاد واكتساب مهارات جديدة ، وبالتالي الدخول الى ميدان الانتاج والمساهمة فيه والحصول على دخل منتظم ، وأخيرا رفع القوة الشرائية للفرد .

• اعادة تدريب العمال الموجودين على كل جديد في دنيا العمل حتى لا يتخلفوا بذلك عن التطورات التكنولوجية في الآلات المستخدمة ولا في التطورات العلمية في مجال الادارة والتنظيم .
ولعل وجود العديد من برامج تطوير القوى العاملة في مجتمعنا السعودي اليوم هو أبرز دليل على مدى ما يدركه المسؤولون من أهمية في القضاء على عناصر البطالة بأنواعها ومكافحة نفور الشباب من الاقدام على بعض المهن . ويمكننا أن نستعرض فيما يلي أهم البرامج القائمة في المملكة العربية السعودية الرامية الى تطوير قواها العاملة :

الاجتماعي في القبيلة أو المجتمع ككل .. وتكون النتيجة أن تلجأ منشأتنا ومصانعنا الى العامل الأجنبي لسد العجز في سوق العرض للايدي السعودية الوطنية الأمر الذي يتعكس بالتالي على اقتصاديات الوطن . والنتائج الاقتصادية لهذه المشكلة تتمثل جليلة فيما يلي :

• ضياع جزء كبير من الدخل القومي على المواطنين السعوديين متمثلة في الأجور والرواتب والمزايا الأخرى المدفوعة للعمال الأجانب المتقدمين .
• استثمار جزء كبير من دخول هؤلاء الأجانب خارج سوق الاستثمار المحلي نتيجة تحويلهم لأجزاء من دخولهم الى بلدانهم الأصلية .
• نقص حجم النشاط الاقتصادي السعودي بسبب ضعف القوة الشرائية والناجمة عن :
أ - نقص الحجم الاستهلاكي للمواطن السعودي بسبب نقص دخله والمرتب على التجائه الى الوظائف الحكومية التي قد لا تعود عليه بدخل يعادل ما قد يتقاضاه في حالة اكتسابه مهنة معينة وممارستها .

ب - طبيعة القوة الشرائية للعامل الأجنبي والذي يكفي في العادة بحجم محدود من الاتفاق وحياة مسطرة في سبيل التمتع بجزء كبير من دخله في وطنه الأصلي بعد انتهاء عقده وعودته الى وطنه .

أهداف ومهام برامج تطوير القوى العاملة

تقوم برامج تطوير القوى العاملة على زيادة المهارات ورفع الكفاية الانتاجية والقضاء على

وفيما يختص بالهدف الثاني وهو تطوير الموارد البشرية بالمملكة ، فقد أدركت الدولة أن الدور الأساسي لهذا التطوير يتجلى في برامج التوسع في التعليم والتدريب ، والتي يمكن أن تؤدي الى استغلال أفضل موارد البلاد البشرية عن طريق :
• اتاحة المجال أمام عدد أكبر من السعوديين لشغل مراكز شاغرة في كل القطاعات العامة والخاصة .

• تسهيل ايجاد تمثيل أوسع نظاما للسعوديين في جميع مجالات الاستخدام .
• اتاحة المجال أمام استبدال عدد من الأجانب الذين يعملون حاليا بالمملكة وإحلال الأيدي الوطنية محلهم (٢) . هذه في الواقع هي أهداف واضحة ، غير أن تنفيذ هذه الأهداف يواجه اليوم بعض المشاكل .

ان المشكلة التي نواجهها اليوم في نطاق تطوير قوانا العاملة ليست مشكلة ذات طابع اقتصادي مالي ، فالدولة تنفق أموالا طائلة في هذا المضمار ، وهي ليست أيضا مشكلة ادارية من حيث تخطيط برامج التطوير وتنظيمها وتنفيذها . فالخبرة السعودية في هذا المجال تتكاثر مع الخبرة العالمية ممثلة في الخبراء الأجانب الذين تستقدمهم المملكة ، بالإضافة الى خبراء الأمم المتحدة ، ولكن مشكلتنا ، وهذا هو الأهم ، اجتماعية بالدرجة الأولى لأن جزءا من أبناء هذا الوطن لا زالوا ينفرون من الاقدام على ممارسة بعض المهن والحرف واستنكار الأعمال اليدوية والتي في حكم تفكيرهم تعتبر مساسا لكرامة الفرد ومركزه

التعليم الأكاديمي أو العام

ونعني به جميع أنواع التعليم ومستوياته والتي لا تقود الفرد الى تعلم مهنة أو اكتساب حرفة معينة في أطوارها الأولى وإنما يتركز هدفها في توسيع مدارك الفرد وقدراته وتنويره في شتى آفاق العلم والمعرفة .. وتتدرج أنواع هذا التعليم من المراحل الابتدائية فالمتوسطة فالثانوية ثم الى المراحل الجامعية ، حيث تبدأ منها عملية التخصص الفعلي ، وخاصة في الكليات العملية كالطب والهندسة . ولقد عرف دور التعليم في تطوير القوى البشرية ، فخصصت للتعليم مبالغ طائلة حتى أن ميزانية التعليم خلال السنة المالية ١٣٩١-١٣٩٢ هـ بلغت أكثر من ألف مليون ريال سعودي وهي تبلغ تقريبا ضعف ميزانية التعليم للسنة المالية ١٣٩٠-١٣٩١ هـ .

التعليم الفني والمهني

لقد أدرك المسؤولون الدور الذي يلعبه هذا النوع من التعليم في سد احتياجات البلد من الأيدي العاملة الماهرة والتي تعتمد الى حد كبير على الأيدي الأجنبية ، فأولوا هذا التعليم نوعا بالغا من الأهمية ، وكان ان أنشئت أول مدرسة صناعية من هذا النوع في جدة في عام ١٣٦٩ وتوالى بعد ذلك افتتاح مدارس ضخمة للتعليم المهني الصناعي في الرياض والمدينة المنورة والمحافظات وجدة . وقد مر نظام التعليم المهني بعدة تغييرات طوال هذه السنين بحثا عن الأفضل حتى استقر الأمر على قبول خريجي شهادة الكفاءة بدلا من الشهادة الابتدائية لهذا النوع من التعليم والذي يتطلب نوعا من الادراك والنضوج من قبل المتحقيقين .

مراكز التدريب المهني للعمال

وتتلور فكرة هذه المراكز وأهدافها في الاعتماد المحلي على الأيدي العاملة الماهرة وشبه الماهرة والتشجيع على اكتساب مهنة بالإضافة الى محاولة رفع المستوى المعيشي للعامل السعودي عن طريق رفع انتاجه في العمل من خلال اعداد برامج للتدريب تشمل دراسات عملية ونظرية في مجالات متعددة كالخراطة والكهرباء والميكانيكا والطباعة وغيرها من المهن السريعة التعلم ، وتقوم الآن بالملكة ستة مراكز للتدريب المهني يتخرج منها سنويا أعداد كبيرة من

الأيدي الماهرة لتسهم في بناء الصناعة المحلية ورفع مستواها الى المستوى المطلوب .

مصدر الإدارة العامة

وقد انشئ هذا المعهد في عام ١٣٨١ هـ الموافق ١٩٦١ م ، وهو يهدف الى تطوير العمل الاداري لموظفي الدولة في المصالح المختلفة .. وقد أسهم هذا المعهد في الفترة الواقعة بين عام ١٣٨٢-١٣٨٧ هـ بتخريج ٦٥٠٦ من موظفي الدولة من برامج مختلفة .. ولا يزال المعهد يلعب دورا بارزا في تطوير الكفاءات الادارية لموظفي الدولة ، وهو بهذا يختلف في أهدافه وطبيعة التدريب فيه عن بقية وسائل التعليم والتدريب الآتية الذكر . (٣)

مراكز وسع التدريب بالمصالح الحكومية

مع تزايد اهتمام الدولة بتطوير القوى العاملة في مرافق الدولة والحاجة الى هذا التطوير ظهر نشاط تدريبي واسع ومنظم في الكثير من الوزارات والمصالح الحكومية ، ويختلف نشاط التدريب في هذه المصالح باختلاف طبيعة الأعمال المنوطة بهذه المصالح واحتياجات العمل فيها .. وتشير خطة التنمية لعام ١٣٨٩ هـ / ١٣٩٠ هـ الى أن هناك ما يقرب من خمسة عشر مركزا للتدريب قائما الآن أو في طريقه للانشاء في مرافق الدولة المختلفة (٤) .

بعد هذا الاستعراض الوجيز لبرامج التطوير القائمة الآن في المملكة نعود الى هدف هذا الموضوع وهو : كيف يمكن أن تؤثر مشاكلنا الاجتماعية والمتعلقة في النظر الى العمل اليدوي على نشاط هذه البرامج .. وحيث أن الحديث ينصب أساسا على القوى العاملة في القطاع الخاص وبالأحرى في قطاع الانتاج ، يكون عندئذ من المفيد مناقشة الموضوع أو المشكلة من جانب البرامج التعليمية والتدريبية ذات العلاقة المباشرة بميدان الانتاج . وفيما يلي ثبت ببرامج التعليم المهني الصناعي وبرامج مراكز تدريب العمال التابعة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية :

برامج التعليم المهني الصناعي

تنعكس آثار النفور من العمل المهني على برامج التعليم الصناعي في المملكة في اتجاه غالبية الشباب من خريجي المدارس الابتدائية والمتوسطة الى التعليم الثانوي العام . ولعل الجدول رقم (١) يعطينا مزيدا من الايضاح

عن هذا الوضع . ويبدو واضحا من هذا الاحصاء الفرق الهائل كماً ونسبة بين المتحقين بالتعليم المتوسط والثانوي العام والمتوسط والثانوي المهني .. هذا ويجب أن نلاحظ أن الانحدار في اعداد المتحقين بالتعليم المتوسط المهني للفترة المشار اليها جاء نتيجة لتغيير طراً على نظام التعليم المهني والذي أصبح الالتحاق به مقصورا على خريجي الشهادة المتوسطة بدلا من خريجي الشهادة الابتدائية وذلك اعتبارا من العام الدراسي ١٣٨٤/١٣٨٥ هـ . وبالإضافة الى تأثير النفور من العمل المهني على الناحية العددية للمتحقين بهذا النوع من التعليم فقد شمل هذا التأثير أيضا الناحية النوعية .. فقد لوحظ أن المهتمين للتعليم الفني المهني غالبا ما يميلون الى دراسات فنية مهنية معينة كالكهرباء والميكانيكا تاركين أنواعا أخرى من التخصص يبدو أن البلاد في حاجة ماسة لها مثل الطباعة والسياسة والحداثة والنحت .. ففي العام الدراسي ١٣٨٧/١٣٨٨ هـ مثلا كان عدد المتحقين بالمدارس الصناعية بالملكة في فرع الكهرباء ٩٥ طالبا وفرع الميكانيكا ١١١ طالبا وفرع السباكة والحداثة والنحت ٣٠٨٣ ، على التوالي (٥) .

برامج مراكز التدريب المهني للعمال

بالرغم من أن المتحقين بمراكز التدريب المهني للعمال هم عادة من كبار السن اذا ما قورنوا بالشباب المتحقين بمدارس التعليم الصناعي المهني ، فإن النظرة لممارسة بعض الأعمال المهنية لا تزال سائدة حتى بين هؤلاء الكبار .. فالمشكلة الاجتماعية بكل أطوارها وجنورها القبلية تتمثل جليلة واضحة في اعداد المتحقين وفي نوعية الحرف التي يميلون اليها ..

ولقد اتبعت لي الفرصة يوما ما أن أتحدث لأحد المسؤولين عن تطوير القوى العاملة بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية عن مشكلة النفور من الأعمال المهنية فقال : ان هذه المشكلة قد تسبب لهم بعض الارتباك في العمل وتحرم السوق المحلية من بعض القوى العاملة التي هي في ميسر الحاجة اليها .. وقد وضع المسؤول النقاط على الحروف فقال : اننا ننفق الكثير على تدريب شخص ما ويتخرج من المركز وفي يده مهنة شريفة يستطيع أن يعيش منها عيشة كريمة ولكنه يصطدم بأهله وقبيلته التي ترى في المهنة عارا

الملتحقون بالمدارس المتوسطة والثانوية في التعليم العام والتعليم الفني المهني
للفترة من ١٣٨٤ - ١٣٩٠

السنة	التعليم المتوسط العام	التعليم الفني المهني المتوسط	التعليم الثانوي العام	التعليم الفني المهني الثانوي
٨٥/٨٤	١٤٣٤١	٣٨٣٨	٣٦٨٩	١٣٨
٨٦/٨٥	١٨٧٣٠	٢٥٨٣	٣٨٣٧	١٣٠
٨٧/٨٦	٢١٢٩٧	١٤٦٩	٤٥٧٣	١٣١
٨٨/٨٧	٢٩٥٥٦	٥١٢	٥٨٣٤	٣٦١
٨٩/٨٨	٣٢٥٦١	٢٧٧	٦٩٤٠	٦٧٤
٩٠/٨٩	٣٨٠٢٨	١٤٨	٨٢٤٣	٨٢٠

على القبيلة وتكون النتيجة هي الخيار بين أمرين :
أما التخلي عن المهنة والبحث عن عمل حكومي أو
التخلي عن القبيلة والأهل وممارسة المهنة ، والأخيرة
أمر صعب فيما يبدو .

من هذا الواقع نجد أن الملتحقين بمراكز
التدريب يفضلون التدريب على بعض المهن ذات
الطبيعة الفنية كالكهرباء والميكانيكا ، تاركين
بعض المهن كالسباكة والبناء وغيرها . ويستدل من
الاحصاءات على أن الاتجاه السائد لدى الطلاب
في مدارس التعليم الصناعي هو اقبالهم على تعلم
حرف معينة دون غيرها . وبما تجدر الإشارة
اليه أنه كلما كانت المهنة ذات طبيعة فنية
بحثة كالكهرباء وهندسة الراديو والتلفزيون
والعمل الميكانيكي كثر اقبال الملتحقين بهذا
التخصص وقل بالنسبة لتخصصات أخرى
كالخلاقة والسباكة والبناء ، وهي أعمال يفترض
فيها الممارسة اليدوية أكثر من الناحية العقلية
والفنية ...

هذا هو واقع الملتحقين بالمدارس المهنية
الصناعية وبمراكز التدريب المهني للعمال
بالمملكة العربية السعودية ، وهو واقع أمله ظروف
اجتماعية محددة ، لهذا ليس غريباً أن نرى
في مجتمعنا اعداداً كبيرة من الأيدي العاملة
الأجنبية .. ولعل في الجدول رقم (٢) الوارد في
احدى احصاءات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية
ما يبرر واقعنا في هذا المجال :

ومن هذه الاحصاءات تتبدى لنا حاجة سوق
العمل السعودي الى الأيدي الأجنبية في مجالات
الأعمال الفنية والخدمات . ومن خلال دراسة للعمل
الصناعي في كل من الرياض وجدة أجراها أحد
الأخصائيين في هذا الموضوع عن أسباب التحاق
عينة من ١١٢ عاملاً من مصانع منطقة الرياض ،
تبين أنه ما يقارب من ٦١٪ من مجموع العينة
التحقوا بهذا المصنع بدافع حاجتهم الملحة للعمل ،
ونظراً لوجود وظائف بهذه المصانع .. بينما هناك
نسبة ٨٪ تقريباً من هذه المجموعة التحقت بالعمل
في هذه المصانع بدافع الرغبة في تشجيع الصناعة
الوطنية وفي الميول الى العمل الصناعي .

وفي جدة ومن عينة تضم ١٤٧ عاملاً تبين
أن ٥٢٪ تقريباً من هذه المجموعة أقبلت على العمل
بدافع الحاجة الملحة للعمل ، بالإضافة الى ميولها
الى العمل في حقل الصناعة ، بينما كان هناك ١٢٪
من هذه الفئة التحقت بدافع الرغبة في تشجيع
الصناعة الوطنية (٦)

د : مدني علافي - جدة

دكتوراه في ادارة الأعمال والعلاقات الصناعية والعمالية

العاملون في بعض الأعمال والحرف الفنية والمهنية في ٢٥ مدينة بالمملكة
العربية السعودية في سنة ١٣٨٨ *

المهنة	السعوديون	الأجانب	المجموع
المهن الفنية	٥٤٥	٢٥٩٩	٣١٤٤
الخدمات	٤٦٩٩	٩٤١٦	١٤١١٥
عمال الانتاج والعمال غير المهرة	٢١٥٦١	٢٢٤٥٦	٤٤٠١٧

- ١ - الهيئة المركزية للتخطيط ، خطة التنمية ١٣٩٠ هـ ، (الرياض : الهيئة المركزية للتخطيط ، ١٣٩٠) ص ٢٥ .
- ٢ - تباع خطة تنمية ١٣٩٠ هـ ، ص ١٠٤ .
- ٣ - معهد الادارة العامة ، انجازات المعهد خلال الفترة ١٣٨٩/١٣٩٠ وخطة للفترة ١٣٩٠/١٣٩١ هـ (الرياض : معهد الادارة العامة ، ١٣٩٠) ص ٢٨٣ .
- ٤ - تباع خطة التنمية ١٣٩٠ هـ ، ص ٧١ .
- ٥ - وزارة المعارف ، نشرة عمدة عن احصائيات التعليم للعام الدراسي ١٣٨٧/١٣٨٨ هـ ، (الرياض : وزارة المعارف ، ١٣٨٨) ص ٢٠٥ .
- ٦ - دكتور محسون جلال ، العمل الصناعي السعودي في الرياض ، العمل الصناعي السعودي في جدة ، (الرياض : مركز الأبحاث والتنمية الصناعية ، ١٣٨٩) ص ٢٦ من الجزء الأول ، ص ٣٨ من الجزء الثاني .



بقلم الأستاذ نجاة

جبيل، أو «بيلو»
البشري، ومهند
جانبو البحار والمحيطات

قافله

جبيل والهامة

متحف التاريخ البشري ومهند الأبنية



تبن، ومحفّ التّاريخ
جوان، ومُنطلق رجالِ البحرِ الذين
قبلَ الميلادِ للدّعيمِ الصّلاتِ النّجاريةِ بينَ الشرقِ والغربِ

الأول ١٣٩٣

الطريق إلى جبيل

تبعد جبيل هذه عن بيروت مسافة ٣٥ كيلومترا في اتجاه طرابلس شمالا ، ويمر المسافر اليها بمنطقة نهر الكلب حيث ترك الفاتحون والغزاة ، من «رعمسيس الثاني» حتى الاحتلال الانكليزي والفرنسي سبع عشرة لوحة منقوشة على الصخور دلالة على الاجتياز أو الاحتلال .. «مصريون مندفعون لغزو الحثيين ، وحثيون عازمون على اخضاع المصريين ، وأشوريون - البابليون والكلدان - يزحفون لغزو الاراميين والعبريين ، وكلهم يمرّون عبر الأراضي اللبنانية ويتركون كتابات عند مصب نهر الكلب ..

ثم يجتاز المسافر خليج جونيه الرائع ، والنهر الذي ينبع من مغارة «أفقا» ، وكان يعرف في الأزمنة القديمة بنهر «أدونيس» الأسطوري ، ثم عرف منذ القرن السابع للميلاد بنهر ابراهيم ، نسبة لسابع امراء الموارنة الذي شيد على النهر قنطرة لا مثيل لها في لبنان ، في ذلك العصر .

السير عبر جبيل

مدينة جبيل هي من أقدم مدن التاريخ ، يقدر عمرها بسبعة آلاف سنة ، كانت قاعدة لمزيج من العوائل الآرامية والكنعانية ، ويعني اسمها في اللغات السامية «الجبل الصغير» ، ودونت في المراسلات الفرعونية باسم «جبال» أو «جيبال» وأحيانا «جين - KPN» .. وهناك رأي يقول بأن الاسم الأصلي لهذه المدينة

هو «جب - ايل» أي حصن الاله ، بمعنى أنها المدينة المقدسة للشعوب السامية التي قطعتها في العصور الغابرة .

وقد عرفت هذه المدينة في العصرين الاغريقي والروماني باسم «بيبلوس» ، ومرد هذه التسمية الى أن القراعنة كانوا في قديم الزمان يكتبون الكلام المصور «الميروغليفي» على ورق البردي وهو نبات يكثر على ضفاف النيل ، ويسمونه «بايروس» ، وعرف الاغريق هذا النبات الذي يستعمل للتصوير والكتابة ، ونقله بحارتهم الى مدينة جبيل ، وصاروا يطلقون عليه ، بقصد السهولة في التعبير ، اسم «بولوس» ، ثم تحولت الى «بيبلوس» وبات اسم الورق يعرف عند الشعوب الأوروبية بـ «Paper» وهو مشتق من «بايروس» ، كما بات اسم الكتاب «بيبلو - Biblio» أو «Bible» ، غير أن السكان الأصليين تمسكوا باسم مدينتهم الأصلية «جبيل» ، وثبتته الفتح العربي ، كما أن الصليبيين تقيدوا به ولغظوه «جيبيليت» تصغيرا لكلمة الجبل الذي تقوم عليه المدينة .

وهناك عوامل عديدة أخرى جعلت لجبيل شهرة عظيمة ، عدا مصدر اسمها ، وهي أنها كانت قاعدة حكم وعبادة ، ومرافأ بحريا ممتازا للسفن الفينيقية ، وكان المصريون يصعدون لها أعمدة حجارة الغرانيت ، ويستوردون منها خشب الأرز لبناء السفن ، ودعم سقوف القصور

مجموعة من الملات الحجرية التي أقامها الفينيقيون في قلعة جبيل قبل أكثر من عشرين قرنا .

والمعابد ، وصنع التوابيت للقراعنة ، كما كانت تخرج منها المراكب الفينيقية الى جميع أنحاء العالم مثقلة بأخشاب الأرز والصنوبر ، والمصنوعات الزجاجية ، والجلدية ، والأصصية ، والأقمشة الملونة ، والورق المعد للكتابة والزينة ، وغيرها من الصناعات المحلية .

جبيل مدينة الله الطاهر

كانت جبيل موطنًا لثلاث أساطير شهيرة .. الأولى أغريقية الطابع وتقول أنه كان لـ «أجنور» ملك صور ابنة اسمها «أعروبة» وابن اسمه «قدموس» يقيم في جبيل ، وذات يوم وبينما كانت الفتاة تلعب مع خدينتاتها على شاطئ بحر صور ، شاهدتها «زفس» الأسطوري ، فوقع في حبها ، واختطفها وقطع بها البحر الى أن حط بها في عاصمة ملكه «كريت» حيث اقترن بها .. أما شقيقها الجبيلي «قدموس» ، الذي اكتشف الحرف ، فقد طلب منه أبوه أن يركب البحر للبحث عن شقيقته المفقودة ، فنفذ قدموس رغبة أبيه هذه ، وجاب الجزر الى أن نزل في جزيرة كريت ، وعلم هناك أن شقيقته باتت ملكة ، فالتقى بها واطمأن باله ، ونقل الخبر الى أبيه ، ثم انصرف الى تعليم الاغريق الكتابة بالحرف ، وأقام في تلك الديار ومات فيها . ثم تقول الأسطورة أن «زفس» قدم القارة هدية لزوجته «أعروبة» وعرفت منذ ذلك الزمن باسم أوروبا .

أما الأسطورة الثانية فهي محلية الطابع تقول أن «أدونيس» شاب جميل تحبه «عشروت» ، وكانت تعلم أنه اذا ما ذهب للصيد سيقتل حتما ، وانطلق «أدونيس» ذات يوم من مدينة جبيل الى الأحراج بالقرب من مغارة «أفقا» ، وهناك هاجمه وحش يري وقتله ، وسال دم «أدونيس» غزيرا ، وصب في نهر ابراهيم ، فصارت مياهه تحمر في الربيع ، وتنبت شقائق النعمان حمراء قانية .

أما الأسطورة الثالثة فهي مصرية الطابع ، وتقول أن «أوزيريس» حاكم عادل ، لا ينعم بعطفه الا من تظهر قلبه وحسنت سريرته ونواياه ، وابتعد عن أذى الناس ، صرعته عوامل الشر والحسد ممثلة في أخيه «ست» ، فبكته زوجته «إيزيس» بكاء مرا ، وراحت تبحث عن جثته ، فقبل لها أنها وضعت في نعش وألقي في اليم ، فحملته الأمواج وحطت به في ميناء جبيل ، ثم جاءت «إيزيس» الى جبيل تبحث عنه نالحة باكية ، فانضبت بدموعها نهر



« الفيدار » القريب من المدينة فجفت مياه هذا النهر ..

قصة تاريخية عن جبيل

عرفت جبيل « المدينة الدولة » أنظمة من الحكم تدل على عراقتها وعظم أهميتها في التاريخ، حكمها الأمراء الأموريون (القرن ٢١-١٨ ق.م.) ثم خضعت للحماية الفرعونية (القرن ١٦-١٣ ق.م.) ثم غدت مملكة مستقلة (القرن ١٣-٨ ق.م.) ، ثم أذعن للسيادة الآشورية البابلية (القرن ٨-٦ ق.م.) ، ثم للسيادة الفارسية (القرن ٦-٤ ق.م.) ، والأغريقية (القرن ٤-سنة ٦٤ ق.م.) ، والرومانية (سنة ٦٤ ق.م. - القرن الرابع ب.م.) ، والبيزنطية (القرن ٤ ب.م. - ٧ ب.م.) .. أما الحكم العربي الأول للمنطقة فقد استمر من سنة ٦٣٧م حتى مطلع القرن الثاني عشر الميلادي .

كانت جبيل موطناً لأمرأاء المردة الموارنة أبان الحكم البيزنطي ، وكان سكانها يتمتعون باستقلال اداري ويحكمهم مقدمون ، كما كانوا قد تعربوا في لغتهم وعاداتهم قبل الفتح العربي بقرون عديدة عن طريق اختلاطهم بعناصر من القبائل النازحة من الجزيرة العربية مثل الفساسنة والتوخيين وغيرهم .

وفي ٣٠ يوليو سنة ٦٣٤م دخل العرب المسلمون سوريا ولبنان ، ويقول المؤرخ « البلاذري » في ذلك : « فتوجه يزيد بن أبي سفيان ، في ولاية ابي عبيدة بن الجراح ، ففتح عرندل صلحا ، ثم أتى بعد فتح دمشق ، صيدا ، وعرة ، وجبيل في سنة ٦٣٦م ، وبيروت في سنة ٦٣٥م ، وهي سواحل ، وعلى مقدمته أخوه معاوية ، ففتحها فتحا يسيرا ، وجلا الكثير من أهلها » .

وهكذا غدت جبيل العربية مقاطعة من دمشق ابان العهدين الأموي والعباسي ، ثم انتقلت الى حكم الفاطميين في مصر ، وكانت تابعة لامارة بني عمار في طرابلس ، الذين استقلوا عن الفاطميين حوالي سنة ١٠٦٩م . وفي سنة ١٠٩٩م ، وابان الحملة الصليبية الأولى ، حاصر القائد الصليبي « ريموند دوسانت جبيل » حامل ألقاب « كونت تولوز » و « دوق ناربون » و « مركيز البروفانس » . حاصر مدينة طرابلس ، وتسلسل الى الجزء الشرقي منها ، وشيد عليه سنة ١١٠٣م قلعة أطلق عليها اسم « قلعة الحجاج » ، وهي المعروفة بقلعة « صنجيل » ، وكان يحكم المدينة وقتئذ القاضي « فخر الدين الملك أبو علي بن عمار » ، وقد تسلم الامارة سنة ١٠٩٨م .



مجموعة من مخلفات الحجارة التي استخدمت في بناء القلعة ، وقد بدأ جانب من مدينة جبيل في أقصى الصورة .



وفي سنة ١١٠٤م احتل « ريموند صنجيل » مدينة جبيل لكنه لم يعش ليرى احتلال طرابلس ، فيقول « ابن الوردي » في وصف موته ما يلي : ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة هـ : وحدث فيها أن كان صنجيل قد ملك جبلة - تقع بين اللاذقية وطرطوس - فخرج الملك أبو علي بن عمار ، صاحب طرابلس وأحرق الربض ، فأنهدهم بعض السقوف المحترقة بصنجيل ، فمرض عشرة أيام ومات في سنة ١١٠٥م ونقل الى القدس .

وتولى زمام القيادة ابنه « برتران » وهاجم طرابلس بأسطول مؤلف من سبعين سفينة معقودة اللواء لأمير البحر « وليام امبرياكوس » القائد العام لجمهورية جنوا في مياه المشرق ، فتغلب على المقاومة العربية بحرا وبراً : واستولى على طرابلس في ٢٦ يونيو سنة ١١٠٩م ، وقامت على الأثر دولة لاتينية تعرف بكونتية طرابلس « تمتد من شمال المرقب حتى جبيل » ، ثم غدت جبيل مقراً لأسرة امبرياكوس أو « امبرياتشي » الجنوبية الحاكمة ، والتي يقرن اسمها بقلعة جبيل الشهيرة .

وظلت جبيل خاضعة للحكم الصليبي مدة ١٨٥ سنة الى أن كان الفتح العربي الثاني على يد صلاح الدين الأيوبي ، فانتزعها من الصليبيين في سنة ١١٨٧م ، ثم تثبت ذلك الفتح نهائياً في سنة ١١٨٩م في عهد المماليك على يد السلطان المنصور سيف الدولة قلاوون . وقعت جبيل منذ ذلك الحين على ركام ضخمة من الآثار والذكريات .

العرب والحصون الصليبية

كان العرب في فتوحاتهم يعيرون الحصون أهمية كبرى كمراكز للحشد والمقاومة ، فلقد

١ - بقايا مدخل ميناء جبيل القديم وقد انعكست على صفحة مياه البحر الأبيض المتوسط أشعة الشمس فأضفت على المدخل جمالا طبيعيا فائتا

٢ - جانب من المدافن الملكية التي تحتفظها قلعة جبيل الأثرية والتي يرجع تاريخها الى الألف الثاني قبل الميلاد .

٣ - جانب آخر من المسلات والهاكل التي يرجع عهدها الى زمن الفينيقيين في مدينة جبيل ..

٤ - بقايا المدرج الروماني الفسيح الذي يعد من مآثر مدينة جبيل التاريخية .

٥ - أحد التيجان التي تعلو الأعمدة الأخرقية التابعة لقلعة جبيل .

كتب معاوية الى الخليفة عمر بن الخطاب ، بعد موت أخيه يزيد ، يصف له حال السواحل السورية اللبنانية ، فأجابه الخليفة كما يذكر البلاذري : « بضرورة ترميم حصونها ، وترتيب المقاتلة فيها ، واقامة الحرس على منازرها واتخاذ المواقيد لها » .

« ولما استخلف عثمان بن عفان ، كتب الى معاوية يأمره بتحصين السواحل ، وشحتها ، واقطاع من ينزله اياها القطائع ففعل » .

« وبني معاوية لبلدة جبلة حصنا خارجا من الحصن الرومي القديم ، وكان سكان الحصن الرومي رهبانا وقوما يتعبدون دينهم » .

« وفتح عبادة بن الصامت الأنصاري ، الذي خلف عبيدة بن الجراح ، والمسلمون معه انطرطوس ، وكان حصنا ثم جلا أهله عنه ، فبنى معاوية انطرطوس ومصرها ، وأقطع القطائع وكذلك فعل بمرقية وبنياس » .

والجدير بالذكر أن معاوية اضطر « لترميم الحصون وشحتها » للاستعانة بعناصر غير عربية أتى بها من فارس « لأن معظم سكان جبيل البيزنطيين هربوا ليلا الى قبرص » .

ويذكر العقوبي في كتاب البلدان : « ان مدينة طرابلس وأهلها قوم من الفرس كان معاوية ابن أبي سفيان نقلهم اليها ، ولهم ميناء عجيب يحتمل ألف مركب .. وجبيل وصيدا ويبروت وأهل هذه الكور كلها قوم من الفرس ، نقلهم اليها معاوية » .

فمن البديهي أن يعبر الفاتحون العرب الأول ، حصن جبيل الروماني القديم ، مثل باقي حصون الساحل وقلاع البيزنطية ، ما تستحقه من عناية ، فعملوا على تجنيد أهل الاختصاص من الفرس وغيرهم ، لترميم هذه الحصون والقلاع ، وشحتها وترتيب المقاتلة فيها ، لتبقى عرينا لهم خلال أربعة قرون على التوالي .

قلعة جبيل

قلعة جبيل تمثل أجيالا وثقافات ، فكل شعب حكم هذه المنطقة ترك فيها أثرا ، كانت مكان عبادة للكنعانيين ثم أقام عليها الأغريق هيكلهم ، ثم تبعهم الرومان البيزنطيون ، فالعرب ، فالصليبيون ، فالمسلمون العرب والأتراك ، فكل شعب كان يطور البناء في القلعة حسب ذوقه ومقتضيات عصره .

وقد أقام القاضي « فخر الدين بن عمار » ، أمير طرابلس وجبيل في القرن الحادي عشر ، بناءا تكتليا في القسم الأسفل من القلعة ، وإلى

اليسار الشرقي من المدخل الرئيسي ، وحصنه استعدادا لصد غارات سينقض بها الفرنجة من البحر .

ولما كان الصليبيون في طريقهم الى الديار المقدسة ، احتلوا جبيل ووجدوا فيها حصنا رومانيا يقوم الى جانبه بناء عربي من أعمال بني عمار ، فعمدوا الى دمجهما واقامة أبنية وتحصينات أخرى عليهما وحوطهما مستفدين من حجارة هياكل رومانية مندثرة ، لم يبق منها اليوم سوى ستة أعمدة واقفة وعمودين ملقين على الأرض ، بحيث تولف كلها القلعة المعروفة اليوم بقلعة الصليبيين ، واتخذوها قاعدة للزاحفين المحاربين ، ومتراسا لحماية قوافلهم التجارية ، ومنازل للحجاج منهم .

ثم احتل العرب جبيل ثانية ، ابان عهد صلاح الدين الأيوبي ، وأدخلوا تعديلات في قلعتها ، كما أجرى المماليك في القرن الرابع عشر الميلادي اصلاحات واضحة المعالم فيها ، تتناول القاعدة الكبرى في الطابق الأرضي ، والجسر القائم على الخندق ، والمدخل الرئيسي للقلعة ، والأقسام العليا للبرج .. ثم احتلها الأتراك واتخذوها « قشلاقا » وسجنا . ويشاهد المرء آثار قنابل راسخة في جدران القلعة أطلقها عليها الأسطول الانكليزي سنة ١٨٤٠م ، تأييدا للاستبانة في حربها ضد « ابراهيم باشا » وحليفه الأمير بشير الشهابي .



السور الفينيقي التابع للقلعة بعد ترميمه ..



غرائب أثرية تمثل بقايا الهياكل والمسلات التي كانت فيما مضى جزءا من قلعة جبيل التاريخية .

له من الحجر ، بعد أن كان يقيم في الكهوف والمغاور ، كما تتحدث عن أولى معتقدات هذا الانسان وشعائره .

فكيفما أقيمت نظرك من عل تطالعك آثار تمتد من العصر الحجري والنحاسي ، الى العصور المتأخرة ، تراها متشابكة متلاحمة ، بقايا سور فينيقي تجاوزه أسوار فرعونية وآشورية وفارسية ، وأغريقية ورومانية .

يذكر الرحالة الفارسي « ناصر خسرو » في كتابه « سفر نامه » أنه زار جبيل في شهر فبراير سنة ١٠٤٧م ، أبان خلافة المستنصر الفاطمي ، فيقول : « ومن طرابلس بلغنا مدينة جبيل ، وهي مثلثة تطل زاوية منها على البحر ، ويحيطها سور حصين شاهق الارتفاع ، وحولها النخيل وغيره من أشجار المناطق الحارة » .

فيقول أن يكون السور « الحصين الشاهق الارتفاع » الذي شاهده خسرو ، قبل الحملة الصليبية بنصف قرن ، هو الحصن الروماني القديم الذي تقوم عليه الآن القلعة الصليبية ، لأن حفريات دار الآثار اللبنانية دلت على « أن المدينة كانت محاطة بسور سمكه خمسة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار لصد الغزوات البحرية عن المدينة » ، فسور ارتفاعه أربعة أمتار لا يسمى شاهق الارتفاع مهما بالغ « خسرو » في الوصف .. لقد وقع نظر « خسرو » على الحصن فاعتبره جزءا من السور الذي يطوق المدينة ، فأطلق على الاثنين معا اسم « السور الشاهق الارتفاع » .

الأنصاب التذكارية والمسلات ، كان على مستوى بسيط وبدائي ، فهم كانوا على وفاق مع الطبيعة ، فكل شيء متوفر لهم ، الأمطار الغزيرة والثلوج ، والينابيع ، والخضار ، واللحوم والفاكهة .. أي أن احتياجاتهم الضرورية لمعيشتهم كانت في متناول أيديهم دائما ، على نقيض الفراعنة الذين كانوا في خوف دائم من عدم فيضان النيل ، وما يتسبب عنه من قحط ومجاعة .. فحجارة قلعة جبيل الضخمة لا مثل لها الا في قلعة بعلبك ، أو في القلعة الرومانية القائمة على قمة جبل مجدل عنجر .

والملاحظة الثانية : أن الزائر المدقق يرى شارات ورموزا منقوشة على بعض هذه الحجارة منها ثلاث رسومات ترمز لخاتم سليمان ، فهي على الأغلب من عمل البنائين الأعاجم وغيرهم الذين أتى بهم معاوية من فارس ، واستخدمهم في ترميم الحصن في مطلع الفتح العربي ، ومنها نجمات ذات ثمانية أطراف نقش على الحجارة في زمن متأخر ، نرى لها شبها في أختام أسرة « أمبريا كوس » في جبيل اللاتينية .

جول في منطقة السور

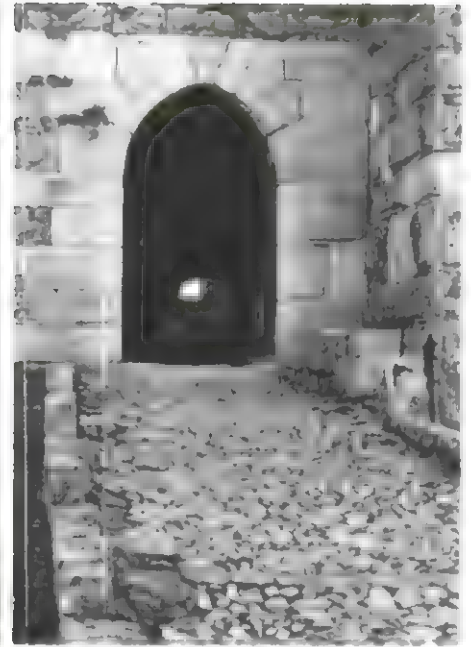
يقف المرء على سطح الطابق العلوي من قلعة جبيل ويلقي نظرة الى الجهة الجنوبية منها فيشاهد مساحة من الأرض تقدر بكيلومتر مربع واحد ، تقوم عليه آثار معابد وأبنية فينيقية تتحدث عن أول محاولات الانسان لبناء مساكن

فقلعة جبيل الحالية مؤلفة من طابقين بأربعة أجنحة ، ومن يقف على سطحها يكون على ارتفاع ٢٥ مترا بالنسبة للطابق الثاني ، و ٥٠ مترا بالنسبة للطابق الأول ، و ٧٥ مترا بالنسبة لسطح البحر .

ففي الطابق الأرضي منها جب لحفظ المياه ، ومكان لتخزين الأسلحة والمؤن ، وملجأ للحصار والمقاومة مدة طويلة . أما الطابق الثاني فمخصص للمكاتب وغرف النوم والمراقبة .. وكانت القلعة هذه محاطة بخندق تغمره المياه من كل جانب ، تصله من ميناء جبيل بواسطة قناة اصطناعية .

والقلعة هذه مربعة الشكل تتضمن ستائر من الجدران ، ودهاليز ، ولها أربعة أبراج في الزوايا ويقع الرابع منها الى الجنوب الشرقي ، وقد أعيد بناؤه من قبل دائرة الآثار اللبنانية سنة ١٩٥٠م ، من بقاياها التي عثر عليها ملقاة في خندق القلعة .

وفي حديثنا عن قلعة جبيل نبدي ملاحظتين ، الأولى : أن الحصن المركزي القديم قائم في زاويته الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية على حجارة ضخمة ، يبلغ عرض بعضها خمسة أمتار ونصف المتر وعلوها مترين ، وليس هناك ما يثبت أن هذه الحجارة أخذت من هيكلي « أيل » أو « أدونيس » المنذر ، لأن الفينيقيين بوصفهم شعب تجارة بحرية ورحلات بحرية متواصلة ، لم يجدوا ما يحملهم على إقامة هياكل حجرية ضخمة ، حتى أن تقليدهم للفراعنة في إقامة



أحد المداخل المديدة التي تتخلل قلعة جبيل الأثرية .



مجموعة من الأعمدة الرومانية التابعة لقلعة جبيل الأثرية في لبنان .

الحفريات في جبيل

بدأت الحفريات في جبيل منذ سنة ١٨٦٠م عن طريق بعثات أجنبية ، منها بعثة المستشرق والعالم الفرنسي «ارنست رينان» ، التي أوفدها نابليون الثالث ، وقد تم نقل قسم كبير من الآثار المكتشفة في جبيل الى المتحف التاريخي في باريس ، كما نقل قسم آخر منها فيما بعد الى المتحف الوطني اللبناني في بيروت .

وتوقفت أعمال التنقيب في جبيل نصف قرن تقريبا ، أي حتى سنة ١٩٢١ ، وإبان الانتداب الفرنسي ، فحدث وقتئذ «أن طاف المرح على الساحل وكشف عن مغارة مكسوة بقشرة الذهب ، وعثر فيها على آثار مهمة منها ما ذهب الى متحف اللوفر ومنها ما ذهب الى متحف نيويورك» .

وهنا تنبّهت المفوضية الفرنسية في بيروت للأمر وأوفدت العالم الأثري «فيرلو» الى جبيل فأجرى التنقيب فيها ، ثم تابعت دائرة الآثار اللبنانية أعمال التنقيب والحفريات منذ سنة ١٩٢٨م حتى أيامنا هذه ، وسارت بها شوطا كبيرا فتمكنت من الكشف عن الآثار الفينيقية على وجه التقريب ، كما تمكنت من الكشف عن معظم آثار العصور المتعاقبة .

لقد أثبتت هذه الحفريات على أن مدينة جبيل كانت تشغل في القدم مساحة واسعة تشمل بعض التلال المجاورة ، والشاهد على ذلك بقايا

عشر ق.م ، وحجرة هذا الملك وتحتوي على آثار نفيسة من المعادن الثمينة ، وحجرة الملك «إشمواي» الابن ، وفيها مرآته وأواني الذهب والفضة والبرونزية ، وناووس الملك «حيرام» المزين بنقوش جميلة وعلى جوانبه كتابة فينيقية من القرن الثاني عشر هي أم الكتابات الأبجدية في العالم ، والناووس هذا موجود في المتحف الوطني في بيروت ، وساحة الأنصاب وكانت مليئة بالآثار النفيسة من الفؤوس الذهبية ومئات التماثيل الصغيرة ، والأسلحة البرونزية والعقود من الأحجار الكريمة وناووس ملوك جبيل بعضها قائم فوق الحفرة التي كانت تضمه ، وباب نقش على مصراعه الأيسر اسم «رعسيس الثاني» ، ومصكوكات باسم الاسكندر المقدوني ، وقطع أثرية جمّة ، نقل بعضها الى متاحف باريس ، ولندن ، ونيويورك والأساتلة .

ومعظم هذه التحف الأثرية وغيرها موجود في المتحف الوطني اللبناني ، موزعة في أروقة تحمل أسماء عديدة مثل : الأبجدية ، رعسيس ، الجبار ، أشمون ، هيجيا ، جوبيتر .. وأبرزها قاعة كنوز جبيل .

هذه هي قصة جبيل وقلعتها .. ومن يزورها اليوم يقع نظره على أبنية تقوم على حجارة من الهياكل الفينيقية ، مدعومة بأجزاء من أعمدة الغرائت الفرعونية ، مرصعة بحجارة رومانية وبيزنطية وصليبية ، ومحسنة بفنون معمارية عربية تركية ■

نجاتي صدي - بيروت

الحصون والأعمدة والمعابد بالإضافة الى المدافن المنتشرة في اتجاه الغرب .. كما أثبتت هذه الحفريات على أن جبيل كانت في العهد الفينيقي مطوقة بمياه البحر بواسطة قناة اصطناعية ، بالإضافة الى القناة التي كانت تطوق القلعة ، وأن المدينة كانت محاطة بسور يبلغ سمكه خمسة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار ، ولا يزال بعضه قائما .

أبرز الآثار في جبيل

لقد بذلت دائرة الآثار اللبنانية برئاسة العلامة الأثري «الأمير موريس شهاب» مجهودا كبيرا وأنفقت أموالا طائلة ، للكشف عن جبيل القديمة وآثارها .. ومن علماء الآثار الذين أسهموا في أعمال التنقيب والحفريات : بير موتي (١٩١٩) وفيرلو (١٩٢٢) وموريس ديناند (منذ سنة ١٩٢٦ حتى اليوم) .

وقد بذل هذا الأخير نشاطه في الكشف عن معالم جبيل ويلقب بـ «رجل جبيل الكبير» . أما أبرز ما اكتشف في جبيل فهو : نقوش مصرية العهد والشكل ، ورسوم فيفساء تعود الى العهود الأغريقية والرومانية والبيزنطية ، اكتشفها «ارنست رينان» ، ثم وهبتها الدولة العثمانية لفرنسا (بينها ناووس الملك أشمونعزر المكتشف في صيدا) ، وآنية عطر من الذهب ، وحجر ثمين أسود يحمل شعار الفرعون «امنمحت الثالث» هدية منه الى ملك جبيل «أيشمو» الأول في القرن التاسع

ابن خلدون

العالم والمعلم والفيلسوف

بقلم الأستاذ نجيب توفيق

عصر ابن خلدون

عاش ابن خلدون في الفترة الأخيرة من العصر المملوكي ، الذي يمتد من عام ٨٦٥٦ الى ٨٩٢٣ . وفي هذا العصر سقطت بغداد في أيدي التتر ، وفتح العثمانيون مصر ، فتحول تيار الثقافة الاسلامية من بغداد الى القاهرة وذلك لمطاردة التتر للحضارة والثقافة الاسلامية في العراق والشام .

وكان للموقف البطولي الرائع الذي وقفه المماليك في وجه التتر وارغامهم على التتهجر والفرار أثر كبير في انتفاضة اليقظة العربية . ومع أن سلاطينهم كانوا يجهلون اللغة العربية وآدابها ، إلا أن صدورهم اتسعت للعلم والعلماء ، وأصبحت بلادهم معقل الاسلام فقرّبوا العلماء ، وشجّعوا التأليف ، وبذلوا الأموال ، وعمرت خزائن الكتب في القاهرة ودمشق بالموثقات النادرة في العلوم والآداب والفنون ، وامتألت المدارس والمساجد بطلاب العلم من الممالك الاسلامية المختلفة .

وفي آخر العصر المملوكي أخذت تدب في الامبراطورية الاسلامية عوامل الضعف والاضطراب ففي الأندلس مثلاً لم يبق الا بنو نصر من ملوك

الطوائف في غرناطة يقاومون الاسبان ، وتفككت أوصال دول المرابطين والموحدين في شمال افريقيا ، وانقسمت الدول البربرية الى امارات ومدن صغيرة .

حياته ونشأته

كانت أسرة ابن خلدون تعيش في أشبيلية ، وهي مدينة عظيمة تقع على نهر « الوادي الكبير » وقد بني فيها أول مرصد فلكي اسلامي ، بل أول مرصد في أوروبا بأكملها .

وعندما ضعف الموحدين في الأندلس وابتدأ الاسبان احتلالها ، رحلت أسرته الى « سبتة » وانتهى المطاف بها في تونس سنة ٨٧٣٢ .

وفي تونس ولد ابن خلدون وسط هذا الجو المكفهر المليد بسحب الفتن والمؤامرات ، وشب في هذه البيئة التي لم تتوافر فيها عوامل الهدوء والاستقرار ، ولكن ذلك لم يشغله عن التعمق في الدراسات الدينية والعلوم العقلية .

وابن خلدون عربي الأصل ينتهي الى قبيلة يمنية ، هي وائل بن جحر من كندة بحضرموت ، ومنها بعض اقبال اليمن . ولذلك شب طموحا يميل لأن يكون في المقدمة . ولما دخل العرب الأندلس واستولوا عليها ، رحلت أسرة ابن خلدون الى هذه البقاع الجديدة جرياً وراء

السلطان والجاه . وكان أول عميد لهذه الأسرة بالأندلس « خلدون بن عثمان » الذي اتخذ « قروونه » أول دار لها . ثم رحلت الأسرة الى « اشبيلية » حيث كانت لهم ضياع مخصصة . ولما أخذت دولة الموحدين في الضعف وقوي الاسبان ، انتقلت الى غرناطة ولكن ملوك بني الأحمر فقدوا ملكهم ، ووجدت الأسرة حياتها محفوفة بالأخطار فرحلت الى سبتة بالمغرب ثم انتقلت الى « بونة » في القرن السابع الهجري ، وعاد الى الأسرة نفوذها وجاهاها في ظل بني حفص ، الى أن ولد هذا العلامة المشهور في مدينة تونس حيث كانت تموج بالعلماء والنازحين من الأندلس آنذاك .

ثقافته

تلقى ابن خلدون ثقافته الأولى على والده ، وحفظ القرآن ، وعرف الكثير من أصول اللغة والأدب والنحو ، وأجاد أصول الفقه على مذهب ابن مالك ، وقرأ التفسير والحديث ، وتعمق في الدراسات الفلسفية والمنطق ودرس الكلام على مذهب الأشاعرة . ولم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى ظهر نبوغه ، فلهق ببلاط بني حفص وتولى منصب الكتابة للسلطان ابن اسحق صاحب تونس . ولكن عندما شبت الفتن



فعظم المصاب والجزع ، ورجع الزهد ، واعتزمت على الخروج عن المنصب ...
ولكنه ظل منقطعاً للتدريس والتأليف وخدمة العلم حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

صِفَاتُهُ وَأَخْلَاقُهُ

أنصف « لسان الدين بن الخطيب » صديقه القديم عندما رسم له صورة دقيقة تعبر عن شخصيته تعبيراً صادقا ، وإن كان هذا الوزير هو الذي أوغر صدر أمير غرناطة عليه . واعترافه هذا خليق بالتقدير ، وفيه أبلغ دليل على ما كان عليه ابن خلدون من فضل وحياء ، وخلق وإباء ، وعلم وإطلاع ، فقال :

« ... كان ابن خلدون رجلاً فاضلاً حسن الخلق ، جم الفضائل ، صعب المقادة ، متعلماً في فنون عقلية ونقلية ، شديد البحث ، كثير الحفظ ، حسن المعاشرة .. »

عَنْهُ وَأَدَبُهُ

عاش ابن خلدون في عصر حافل بالأحداث والفن والاضطرابات السياسية مما عطل منابع الثقافة والمعرفة واقفار رياض الأدب . وفي وسط هذا الظلام الدامس كان ابن خلدون نجماً ساطعاً

وكانت مصر آنذاك ما تزال مركز الثقافة الإسلامية ومهبط العلماء من جميع الأقطار العربية الإسلامية .

اسْتِقْبالُ ابْنِ خَلْدُونٍ بِالْمَغْلِيمِ

وما أن استقر ابن خلدون بالقاهرة حتى قام بالتدريس في الأزهر ، وكون له حلقة كبيرة من مريديه ومقربي علمه كالمسقلاني والمقريري . وقويت صلته بالسلطان بروق الذي ولاه قضاء المالكية وأسند إليه التدريس ببعض المدارس ، وتوالت توليته للقضاء والعزل ست مرات وجمع بيت الله الحرام سنة ٧٨٩ هـ .

ولم يخل ابن خلدون في مصر من حساد جدد أخذوا يكيدون له ، وفسد الجو بينه وبين ولي الأمر في الوقت الذي تأهب فيه أهله وبنوه للحضور إلى مصر ، ولكن عصفت بهم العاصفة في البحر وحطمت الأعاصير سفينتهم وغرقوا جميعاً . فحزن حزناً كبيراً واستقال من منصبه .

وقد صور ابن خلدون نبأ هذه الفاجعة المذهلة التي نزلت به ، فيقول :

« ... ووافق ذلك مصابي بالأهل والولد ، أبحروا من المغرب بالسفين ، فاعترضها قاصف من الريح ، ففرقت وذهب الموجود والسكن والمولود ،

والاضرابات في العاصمة ، ترك ابن خلدون هذا المنصب وقصد إلى « تلمسان » ثم « بجاية » ثم إلى بلاد الأندلس واستقر عند ابن الأحمر ملك غرناطة ، ففصمه هذا إلى حاشيته ، واستخدمه في شؤنه ، وبعثه سفيراً إلى « بيدرو » ملك قشتالة وقد نجح في سفارته وأعجب به « بيدرو » وعرض عليه أن يقيم معه ، ولكنه رفض وعاد إلى غرناطة . غير أنه لم يستقر بها لأن « لسان الدين بن الخطيب » وزير ملك غرناطة خاف على مركزه منه ، وحقد عليه ، واستطاع أن يوغر صدر الملك عليه فرحل إلى « بجاية » ثانية واستقبله أميرها استقبالا حسنا ، إلا أن اللسائس لاحقته ، ففر إلى « فاس » . عندئذ ملّ ابن خلدون السياسة ومتاعبها ، وعكف على العلم ونزل ضيفا على « بني عريف » حتى عام ٧٨٠ هـ . وفي هذه الفترة المريحة من حياته أتم وضع مقدمته التي طبقت شهرتها الآفاق .

ولم تطب نفس العلامة الطموح إلى الراحة ، وخرج من دنياه الهادئة ، ولكن كان أعداؤه له بالمرصاد ، فأخذوا يبدسون له من جديد ، ففر إلى مصر مدعياً أنه يقصد بيت الله الحرام للحج . وركب البحر إلى القاهرة عام ٧٨٤ هـ في عهد السلطان بروق الذي أكرم وفادته وأحسن لقاءه .



وهي مستوحاة من السياسة الحكيمة التي رسمها القرآن الكريم .

أما رأيه في التنظيم للمناهج الإسلامية ، فيرى أن اقتصار أهل المغرب وأفريقية على دراسة القرآن للتأشيق يجعلهم قاصرين عن بلوغ الملكة الانشائية في التعبير عما في النفس ، لأنهم يحفظون الولدان فقط من غير تفهم لأساليب القرآن الكريم بالقدر الذي يتناسب مع استعداداتهم ، وهو الذي كان متبعا في الكتابات المصرية ، وهو على عكس أهالي شمالي أفريقية الأندلسيين الذين يخلطون مع القرآن المجيد دراسة العربية وفنون الشعر والنثر والخط الذي مهروا فيه ، وكان لهم ، الى جانب ذلك ، أدب بارع ولسان فصيح ، وملكة انشائية مبدعة . ويرى أن المنهج العالمي لطالبي العلم يقسم العلوم التي هي مواد هذا المنهج الى قسمين :

١ - علوما مقصودة بالذات ، وهي العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث وكلام وطبقيات وفلسفة .

٢ - علوما غير مقصودة بالذات ولكنها تتخذ آلة للمهارة في العلوم السابقة كالعربية والحساب والمنطق ، ويرى التوسع في تعليم علوم القسم الأول وتفريع مسائلها في استيعاب وافاضة ، والاحاطة بدقائقها .

وأما علوم القسم الثاني فيرى أنه لا ضرورة الى التوسع فيها بالقدر الذي يعين على فهم المقاصد ، ولذلك يحمل حملة على العلماء الذين يتوسعون في علوم الآلات ويعد ذلك انحرافا عن الغاية .

هذه نبذة عن المؤرخ الفذ والفيلسوف العبري «ابن خلدون» صاحب المقدمة المعروفة التي طبقت شهرتها الافاق ■

نجيب توفيق - القاهرة

الرابع العمران الحضري والبلدان والامصار ، وفي الخامس الصنائع والمعاش والكسب ووجوه وذكر المراتب وتعلمها .

وفي هذا التقسيم ما يدل على دقة العرض ، وبراعة التنسيق والترتيب مع الغرض المنطقي ، والتماسك القوي بين هذه الموضوعات ، والاتصال الفكري وتسلسله مما يشهد بتفوقه وعبقريته الفذة وقدرته على البحث والاستنباط والترتيب .

آراء ابن خلدون وعلماء الغرب

كان ابن خلدون صاحب نظريات وآراء طريفة لم يصل اليها علماء الغرب الا بعد سنين طويلة ، فقد تكلم عن الدولة والملك بافاضة ، كما تحدث عن فلسفة التاريخ مشيرا الى ما للظواهر من أثر في حياة الانسان وأخلاقه قبل أن يظهر الفيلسوف الفرنسي «كونت - Conte» صاحب علم الاجتماع الحديث . وابن خلدون هو الذي قرر أن للبيئة والتطور أثرا في حياة الكائنات في هذا الوجود .

ومن آرائه المتقدمة التي سبق بها غيره . « ان المألوف مولع دائما بتقليد الغالب في شعاره ورأيه ونحلته وسائر أحواله وعاداته » . وقد استعار بعض علماء الاجتماع الفرنسي الكثير من آراء ابن خلدون النيرة التي منها : « ان وجود الجماعة أمر واقع ملموس ، وان هناك صلة بين عدد الجماعة وثروة القطر ، وان البحث الاجتماعي تنبسط أطرافه من ناحية التاريخ على جميع الأمة من التأنس والعصبيات وأصناف تقلبات البشر بعضهم على بعض » .

ابن خلدون .. الفيلسوف والمُزَنِّي

ان آراء ابن خلدون في التريية الإسلامية تكمل حلقة عظيمة الأهمية في تاريخ هذه التريية ، ويرى أنها تستهدف اعداد رجال يستطيعون أن يعيشوا عيشة جيدة سعيدة ،

واماما حكيما في التاريخ ، وعالما كبيرا في الاقتصاد ونواميس العمران والاجتماع .

ولا شك في أنه كان شخصية لامعة ممتازة ، تتمتع بعقلية جبارة وقريحة متوقدة وذكاء خارق وذهن حاضر ونظر صائب ثاقب . هضم علوم الأقدمين وأخرج منها الشيء الكثير الجديد ، تظهر منها آراؤه الحصينة ، وشخصيته العلمية القوية وأفكاره النيرة الجديدة .

وكانت عقليته العملية ، وحياته السياسية ، ومعرفته بشئون العالم الاسلامي ، وتنقله في الأقطار الاسلامية بالمغرب والأندلس ومصر والشام والحجاز ، واتصاله بأحوال هذه البلاد اتصالا قويا ، وحياته التي امتزجت بكثير من تقلبات السياسية ، واحاطته التامة بمختلف النظريات الفلسفية التي عرفها المسلمون ، كل هذه العوامل والظروف والمعارف المختلفة التي أحاطت به ، ساعدته ولا شك على أن يضع فلسفة جديدة موضوعها «المجتمع وتاريخه» ، وهو أساس علم الاجتماع ، وزيادة على هذا التفوق العلمي والفلسفي . صاغ ابن خلدون آراءه صياغة أدبية بأسلوب من الفن الأدبي الأصيل .

مؤلفاته

ألف ابن خلدون مؤلفات مختلفة في المنطق ، واختصر فلسفة ابن رشد ، وألف في الفقه والرياضة والأدب . وأشهر هذه المؤلفات كتاب «العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» .

والجزء الأول من مؤلفه الكبير المعروف بـ « المقدمة » الذي نال به شهرته ، وذاع صيته ، وقد قسمه الى مقدمة في فضل علم التاريخ ثم الى فصول خمسة تناول في الأول منها العمران البشري وأصنافه ، وفي الثاني العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية ، وفي الثالث الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية وفي

في الغربة

للشاعر طاهر زمخشري

أنا في غربتي أهيمُ بفكري حيثما أنت .. يا سنا الحيران
يا نعيمَ الحياة ، يا بلسمَ المنتع ، يا معزّي لأحلى الأغاني
وغيارُ السنين يَمْلَأُ عَيْنَيَّ ، وكحلُّ السهادِ في أجفاني
أنداني الى حماك باشوا قى ، وأهفو بلهفة الظمآن
فاذا ما غفوت أنت بأحلامى وفي الصحو غنوة في لساني
ألف طيف يحومُ حولي بالذكرى وأفوافها شغوف الأمانى
والربى تضحك الأزهيرُ فيها وتروى بعطرها وجاني
وأنا كالفراش استنشق العطر ، وأشدُّ من فرحتي للتكاني

أنا في غربتي ، وأظنما بالشو قى ، وكأسي تفيض بالحيرمان
وبعيني غشاوة تحجب الضو ، وقلبي يذوب مما يُعاني
تترامى بي الدروب على التيه ، فلا يعرف الظلام مكانى
وعلى خافقي زوافر تترى وتذيب الشغاف في الخفقان
فيمتن أفتدي ، ومالي على البعد سوى ذوب خافقي الغصان ؟
والخريف المنهوك يزحف بالترعة عبر الأنين فوق النوانى
باشتيافي اليك ، بالحيرة الشكلى ، بما في الفلوع من نيران
في خضم ألباحه لهب الشوق ، وتبارهُ صروف الزمان
والمجاديف في عميق من اللجة تلهو ، بخافقي وجاني
والسرى طال واستطال ولكن أنت الروح مرقاً للأمان

أنا في غربتي .. بخضر رواب وردُها راقص الرومى بالحنان
كلما هزّني اليك اشتياق غمرت بالعبير جو المكان
ومن السحب هاطل بتزى ويصب الرذاذ في الأغصان
وأنا تحت معطفي .. لاهت الأنفاس .. مما أحس من غلبان
مين حريق يمهنجني بتكلى ويعيني من ناره جمران
جمرة تحمل السهاد وأخرى نافست بالظلى ندى الهتان

وعجيب أن بشعل البرد نارا وقدُها زاد لايحج الحران
فاذا ما ذكرت ... بالبيت لا ترحل طافت بي الرومى في المغان
وببرد الرضا نمد رواقاً مخملي الشكول والألوان
وعلى رفوف من الشوق خفا ق يتاجي بأبكة غصن بان
فاذا باللقاء يخلو مع البعد بدنيا بجوبها غردان

طاهر زمخشري - جدة



في انتظار الحمل

بفلم السيدة صوفي عبدالله

صناعة

للصبا عميقة .. البئر لا بد منه .. غيبوبة تلاحقه وسط ساعات الصحو الأليمة .. غيبوبة تتخللها أهوال الصراع الدموي .. ولكن احساسا بالرضى يسري في أوصاله ، فيبعث دفئا في مسرات أطرافه . قبل أن يفقد وعيه استطاع أن ينقذ سريّة من هلاك محقق .. ونجوا عن آخرهم بعد أن ضحى هو بحياته .

ضحى بحياته ؟ اذن فما هذا الذي يحسه من حوله ؟

ولكن ! كيف نجا ؟

وبجهد فتح عينيه .. فتح عينيه ليرى الدنيا مرة ثانية .. ليحس أنه على قيد الحياة حقا وصدقا ، وليس ما يستشعره « أضغاث أحلام .. ! » .

ومن خلال نظرته المتعبة رأى وجوها كثيرة .. كلا ! هذه ليست وجوها بل عيون ... فالبياض يخفي كل شيء الا العيون : عيون تترقب .. وعيون قلقة .. وعيون مثألة .. ولكنها كلها عيون يقطعة .. ما كل هذا الذي يراه ؟ مهمات تصل الى أذنيه ..

ها هو ذا يسمع أيضا !

الحمد لله .. السمع أيضا لم يفقده .. كل شيء بعد هذا يهون ..

وبدأت العافية تدب في أوصاله بعد أن رأى زجاجة البلازما معلقة أمامه ، وأحس بسرّيات الدم في ذراعه ..

وأزاح الأطباء الأقنعة البيضاء ، وصاح كبيرهم وهو يخرج زفرة طويلة ، وعيناه تومضان ارتياحا .

— أخيرا ...

عشرة أيام وهو فاقد الوعي . استمات الأطباء في إنقاذه من الخطر .. عشرات من زجاجات البلازما أعطيت له .. جراحات شتى أجريت له .. لم يياسوا ... وبعد عذاب ممض فقدوا الأمل في

نجاته .. ولكن في العمر بقية .. وها هوذا يعود الى الحياة .. مرة أخرى سري « أمل » .. صغيرته الحبيبة .

— الحمد لله على سلامتك ..

يمكن يسمع سوى هذه الكلمة من كل طبيب يمر به .. فأدرك الى أي حد كانت حالته من الخطورة .. وإلى أي مدى بذل الجهد في إنقاذه ..

وأحس استرخاء أشبه بخدر النعاس يستولي على كل جارحة فيه .. لا بد أنه مفعول الحقنة المخدرة . ولكن نقطة في وعيه لم تزل ساهرة تكافح الكرى ..

وكان مساء .. وكان صباح يوم جديد .. ومع النور ، وحرارة الحياة ، بدأت « طلعات » الأصدقاء ..

ها هم اخوانه في السلاح والكفاح يتناوبون السؤال عنه بعيون متلهفة وقلوب تفيض بالود .. كل يوم يرى عشرات من الزوار لم يسبق له معرفتهم .. الكل يسأل ويتمنى الشفاء حتى خيل اليه أن ما من أحد يزور المستشفى الا ويمر عليه .. !

وأتمخسته الهدايا حتى لم يعد يجد لها مكانا . أقارب الجرحى الآخرين وأصدقاءهم يمرّون عليه ويحيونه وكان صداقة قديمة تربطه بهذه الوجوه التي لم يرها من قبل ...

جميل أن يحس الانسان أنه قام بعمل يقدره الناس ... حتى الذين لا يعرفهم ..

ولكن أين صغيرته « أمل » ؟ وأين زوجته ؟ لماذا لا يراها مع كثرة من يرى ؟

— ليس الآن !

قالها الطبيب وهو يحاول أن يرتب كتفه بلطف ، فكل ما فيه مغطى بضمادات .. الطعام يوضع في فمه بيد ممرضة .. وكذلك الشراب .. — أليس من الأفضل أن تتركه وأنت على حال أحسن من هذه ؟

أخيرا جاء اليوم الذي فكت فيه بعض ضماداته وسمح له أن يجلس على كرسي ذي عجلات .

لما فرحته لا حد لها .. فقد تقدم الطب بحيث يمكن أن يركبوا له ساقا أخرى بدل التي فقدوها .. أما ذراعه اليسرى فقد قيل له أن علاجها ميسور بعد عدة جراحات .. واليمنى كل ما بها كدمات تحتاج الى تدليك وجلسات كهرباء .. أمرها سهل !

ولكنه يريد أن يرى وجهه .. أن يرى مدى التغير الذي طرأ عليه .. ينبغي ألا تراه « أمل » على صورة لا يرضاها لنفسه ..

لشد ما تغير ! لشد ما أصابه الهزال . لشد ما تغير وجهه الوسيم فأصبح دميما مغمضا . شاحبا كوجوه الموتى . !

كلا لن يسمح لأمل بأن تراه وهو على هذه الحال .. عليه أن ينتظر .. ولا زوجته أيضا يجب أن تراه ..

— انها أيام .. أيام معدودة .. وتعود الى حالتك الأولى .. عليك فقط أن تأكل كل ما يقدم لك لتسترد عافيتك . هكذا قال له الطبيب المعالج ..

ولكن الأيام تمر .. والمستشفى يكتظ بالزوار وفي كل حجرة يرى الزوجات والأطفال .. والضحكات تلوي .. وصياح الأطفال يملأ الممرات .. ولكل ينعم بسؤال الأهل والأقرباء .. وتتندى عيناه بالدمع .. وتمتلئ جيبوه بقطع الشكولاته كلما دفع صديق كرسيه ذا العجلات للسؤال عن جريح .. فهذه القطع يحتفظ بها لأمل ويشعر بوقع نظرات العطف من خلفه تشع من عيون الزوجات والأمهات .. ويشيع بسبل من الدعوات .. يوم آخر من أيام الزيارة .

لقد بات يعرف تلك الأيام جيدا ويميزها بين الأيام التي تمر متشابهة في المستشفى .. ففي يوم الزيارة كل شيء يلمع .. وعلى الجدار المنخفض الذي يفصل دهلز عن الجراحة عن دهلز عن العظام يبرز « قرقول شرف » عبارة عن طابور من الزهريات المتشابهة . كأنها جنود في كسوة رسمية موحدة .. وفيها أزهار متشابهة « التشكيلات » من أبدع الأزاهير وأنضرها ..

وفي ركن الدهلز جثم على كرسيه ذي العجلات يرقب أوائل أسراب الزوار .. ويرنو الى الأزهار الجميلة التي تصافح العين من ارتفاعها في شموخ .. مع الزوار أولاد وبنات .. ترى متى يرى ابنته .. أمل ؟

الصغار لا يطبقون المكث طويلا داخل الحجرات .. سرعان ما يخرجون الى الدهلز .. ويرقب حركاتهم وعيونهم اللامعة من ركنه في سرور صامت ، ويتخيل « أمل » تلعب معهم ذات يوم .. ورأى ولدا لعله في السابعة أو أصغر قليلا ، يقف قبالة عيناها تلمعان كالماص الأسود ، يتطلع اليه بامعان ، وهو واقف على رجل واحدة ينفق الأرض برجله الأخرى ..

وفجأة وبدون أن يتسع الوقت للتفكير ، استدار الولد خلفه وأخذ يدفع كرسيه المتحرك بسرعة الصاروخ نحو الحائط .. ودار كل شيء في رأسه ، كأنما تجمعت داخله خلية من النحل البري . ذراعه أوهن من أن تستخدم « مائة تصادم » مع الحائط .. أما رجلاه ١٩ أي مهرب له وقد أصبح العوبة في يد طفل عابث . ١٩ واحتبست في حلقة الصرخة ، وقد جمدته برودة العجز اليائس ..

أهذا كل ما تبقى مما يسمونه بطولة ؟ ما أهون كل شيء !

ترى ماذا أوقف اندفاع العجلات قبل ارتطامه بالحائط ببضعة سنتيمترات ١٩ والتفت خلفه ليرى ماذا عاق الولد عن جنونه الطائش ؟ أتدخل أحد في آخر لحظة ؟

الولد يتحرك بكل هدوء وحده .. ليس معه أحد .. لا ينظر اليه .. بل يقيس بعينه شيئا .. ثم يضغط على شفته السفلى ويأتي بكرسي يضعه بجواره ...

لماذا اختار أن يجلس بجواره هنا ان كان الجلوس بجواره ما يريد ؟ ولكن الولد لا يجلس ! انه يتسلق الكرسي ، يقف فوقه ، ويشب على أصابع قدميه لتصل أنامله الى زهرة بيضاء في إحدى الزهريات .. ويستدير فيقدمها اليه .. ولا يقول شيئا ..

وقاض الارتياح المكبوت عرقا على جبينه .. وتنفس الصعداء .. وأدنى أنفه من الزهرة البانعة يلتمس في عطرها العزاء ..

ما أعجب قدرة الانسان ! من البلاستيك كانت الزهرة . ! ولكنها ذات نفرة لا تذبل ! هذا أفضل ! سأحفظ بها مع الشظايا التي أخرجوها من ساقتي !

وتلفت يلتمس الولد ، فهو يستحق أن يشكره على كل حال . لم يدر بذمته أن حماسه المندفعة يمكن أن تفزع « بطلا » ..

ولكنه وجد الولد قد اندفع في اللعب مع رفاق جمعتهم به الصدقة .. يوم زيارة أقبته أيام ..

وأخيرا .. ذات صباح قال له الطبيب بنظرة مرحة :

— مبروك يا عم ! اليوم تستطيع أن ترى أسرارك . الصباح الباكر طلب أن يحلق ذقنه

« كند » .. وتضمخ بماء الكولونيا .. ولبس « بيجامة » نظيفة ناصعة البياض .. وفي ممرات المستشفى راح يجري بكرسيه مستعينا يديه السليمة ، مطوحا بها في الهواء ووجهه يطفح بشرا ..

بعد لحظات ستكون « أمل » بين ذراعيه .. يضمها الى صدره بعنف حتى تصرخ في مرح كما كان يفعل معها دائما ..

وفطن الى ذراعه الراقدة الى جوار جسده لا يستطيع حراكها .

كلا ! لن يراوده الحزن فليزاعه الأخرى القوية يمكنه أن يضمها كأعنف ما يضم أب صغيرته الجميلة .. !

ها هي ذي الدقائق تمر .. لم يبق على موعد الزيارة سوى لحظات .. ترى كيف ستستقبله الصغيرة ؟

وبدأت دقات قلبه تعنف .. وأحس بشجاعته تخونه ..

وأسرع الى المرأة يسألها عن مدى تغيره .. لن تستطيع أن تصدقه القول .. فقد اعتاد رؤية نفسه أسابع طويلا ..

.. سيغمرها بعلب الشكولاتة .. سيملأ حجرها وجيوبها ويستمتع بصحركاتها البريئة الملائكية وهي تعبث بيديها الصغيرتين متشبة بكثرة ما حولها من حلى ..

وأفاق على صوت حذاء .. حذاء يعرف دقاته بين آلاف الأحذية .. وأرهف أذنيه . هذه زوجته تسرع الخطو .. وبجانبتها خطوات صغيرة .. خطوات أمل ..

واعتدل في جلسته وعيناه على باب الحجر .. ولوجيب قلبه صوت أحسه كوقع حذاء جندي على أرض مرصوفة ..

زوجته بقامتها الهيفاء تدفع

الطفلة أمامها في اشراف أبلغ من الحزن .. وما أن وقع نظر الصغيرة عليه حتى تصلبت في مكانها كأنها سميت في الأرض

مرتكة بظهورها على ساقتي والدتها والفرع يملأ عينها ، وقد أطبقت شفيتها القرمزيتين في عصبية لتمنع صرخة كادت تفلت منها .. ولم تفلح والدتها في تهدئة روعها ، أو في حثها على التقدم خطوة واحدة .. ولا أجدت كلمات التذليل

والاغراء بعلب الشكولاتة في زحزحتها من مكانها .. وتركتها أمها عند الباب ، واندفعت اليه

تعاثقه وتناديه بالأسماء التي اعتادت أمل أن تناديه بها .. وهي تضحك ضحكات هستيرية تاركة لدموعها العنان دون أن تشغل نفسها بتجفيفها ..

ونثر قطع الشكولاتة فوق الفراش وراح ينادي أمل بأعذب الألفاظ ، ويذكرها بما كان بينهما في آخر لقاء .. والطفلة ترمقه وتتبع حركاته في توجس ..

ألى هذا الحد انقلبت سحته حتى أنكرته الطفلة ؟ ! والكبيرة ؟ ألا تستطيع التغلب على دموعها ؟ !

وطأ رأسه .. وأفلتت من عينه دمة أحسها على يده المنطرفة في حجره كلسعة الجمر ..

وفجأة أحس يديين صغيرتين تطوقان رقبته ، وشفيتين نديتين تلتصقان بخده .. وأنفاس صغيرة تلفحه ..

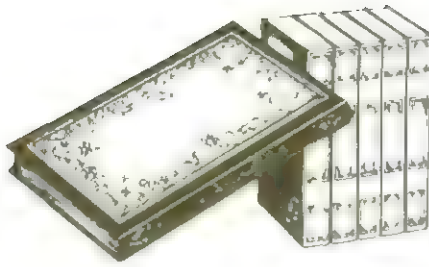
ومد ذراعه .. وطوق الجسم الصغير اللدن .. بكل الحنان والشوق والحب . وراح يتشم رقبته ورأسها وكل جسدها بعنف كفريق نجا من موت محقق وقد فتح رثيه يملؤها بعبيرها

صوفي عبد الله - القاهرة

الاستاذ عدنان مردم بك يمنح لقب « بروفيسور »

قررت الجمعية الاستشارية العالمية المنبثقة عن اليونسكو لأسبوع الكتاب الصوفي العالمي المنعقد في « بونوبيرس » عاصمة الأرجنتين فيما بين ٢٣ و ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٢ ، قررت منح الأستاذ الشاعر عدنان مردم بك لقب « بروفيسور » على مسرحيته « رابعة العنوية » التي فازت بالجائزة الثالثة من جوائز الكتاب الصوفي العالمي . ان « قافلة الزيت » اذ تعجى هذه الوثبة الأدبية يسرها أن تشارك الشاعر الكبير خالص التهنية وترجو له مزيدا من التقدم في مدارج العلم والمعرفة

أخبار الكتب



النقد الأدبي لديمها وحديثها . وقد صدر هذا الكتاب عن معهد البحوث والدراسات العربية .

وتصدر قريباً طبعة ثالثة من كتاب « الأدب المقارن » للأستاذ نجيب العقيقي يتناول فيها توسع وإغاضة تاريخ الأدب العربية والفرنسية ، ويؤرخ للمدارس الأدبية المختلفة ويروي سير أدباء الغرب والأدباء العرب في القديم والحديث . والمتوقع أن تربى صفحات الكتاب على ألف صفحة .

صدر ديوانان جديداً هما « من أين يحيى الحزن » للشاعر البحريني الأستاذ علوي الهاشمي وقد نشرته دار العودة ، و « صفاف الهوى » للشاعر الكويتي رضا الفيلي بمقدمة للأستاذ محمد عفيفي وقد طبع في مطبعة حكومة الكويت .

كما تصدر قريباً المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر هارون هاشم رشيد ■

كتبٌ مُهندَاة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية :

« القانون والعلاقات الدولية في الإسلام » تأليف المحامي الدكتور صبيح محمدي ، عضو المجامع العلمية العربية .. وهو يبحث في تطور التشريع الإسلامي ومصادره ، وفي نشوء المذاهب الفقهية وكذلك في مصادر التشريع الإسلامي .. والكتاب مقسم إلى أبواب وفصول ومزود بنيت بالمراجع العربية والأجنبية التي اعتمدها المؤلف . وهو يقع في نحو ٣٠٠ صفحة من الورق الصقيل ، وقد نشرته دار العلم للملايين في بيروت .

« الجزء الأول من « ديوان صيدح » وهو طبعة جديدة للشاعر المهجري الكبير جورج صيدح .. اشتملت على عشرات القصائد الجميلة التي نظمها في مختلف المناسبات .

« مجلة مركز الدراسات التكميلية » وهي مجلة ثقافية علمية تعنى بمختلف البحوث والمواضيع التربوية ومزودة بالعديد من الصور التي تعكس حجم النشاطات التي يمارسها الدارسون في المركز .. وتصدر المجلة سنوياً عن وزارة المعارف في الرياض ..

« عواطف وعواصف » وهي مجموعة أقاصيص للأستاذ محمد طاهر فليمان .

« العدد الأول من رسالة « الكلية » وهي مجلة شهرية تعنى بالشؤون الثقافية والدينية والعلمية ، ويتولى تحريرها اللجنة الأدبية لرابطة الطلاب في كلية البترول والمعادن في الظهران .

« الجزء الثالث من المجلد السابع والأربعين لمجلة « مجمع اللغة العربية بدمشق » وهي تصدر في أربعة أجزاء سنوياً .. وتشمل بحوثاً قيمة تهدف إلى خدمة الفكر والثقافة العربية ■

« من الكتب العلمية التي صدرت أخيراً هذه المجموعة : « علم الكميات والمواصفات للإنشاءات المعمارية » تأليف المهندس حامد مختار ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « مقدمة في علم الهندسة الزراعية » للأستاذ محمد عبد الخالق دراز ونشر دار المعرفة ، و « أساليب انتاج الصلب » تأليف المهندس سعيد عبد الغفار ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « اللحام اليدوي بالقوس الكهربائي ومعدلاته » تأليف المهندس يسري محمد يسري وتقديم الدكتور أنور عبد الواحد ونشر مكتبة النهضة المصرية ، و « تكنولوجيا تشغيل المعادن والقياس الدقيق » تأليف الأستاذ محمد عبد المنعم منصور ونشر مكتبة الانجلو المصرية ، و « علم الصخور » للدكتور سلامة طوسن وآخرين ونشر دار المعرفة ، و « العقود والمواصفات للمنشآت الهندسية » للدكتور محمد عبد الحميد جودة ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « الثروة الحيوانية » للأستاذ جليل أبو رجيلي ونشر المكتبة المصرية ببيروت ، و « مقدمة إلى علم الكمبيوتر » تأليف المهندس عبد الرحمن بصيلة ومراجعة الدكتور يحيى الحكيم ونشر الهيئة العامة للكتاب .

« في الفنون بأنواعها صدرت طائفة من الكتب منها « فنون الشرق الأوسط القديمة » للأنسة نعمت اسماعيل سلام ونشر دار المعارف ، و « فن المثل العربي » للأستاذ زكي طليمات ونشر الهيئة العامة للكتاب ، و « الفن في حياتنا اليومية » للأديبة فايزة حنا ونشر مكتبة الانجلو ، و « نظرية العمل في تدريس الفنون » للدكتور لطفي محمد زكي ونشر دار المعارف ، و « فن صباغة الحلي » للأستاذ عادل غريال ونشر « كتابات معاصرة » .

« صدر للأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم كتاب عنوانه « رحلة بين عصرين » يعالج فيه قضايا الشباب في جيلين ، وقد صدر الكتاب عن دار الكتاب الجديد .

ومن الكتب التي تعالج المشكلات النفسية بأبعادها المختلفة كتاب « دراسات مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف » للأستاذ خليل ميخائيل معوض ونشر دار المعارف ، و « مذاهب علم النفس المعاصر » للدكتور علي زيور ونشر دار الأندلس ، و « علم النفس والأدب » للدكتور سامي الدروبي نشر دار المعارف .

« صدر لأستاذ النقد الأدبي والبلاغة الدكتور بدوي أحمد طبانة كتاب جليل عنوانه « قضايا النقد العربي » عالج فيه أربعة من قضايا النقد هي قضايا الوحدة الفنية للقصيد والالتزام ومعاني الأدب بين الوضوح والغموض وقضية الاطار والمضمون . وبعد أن استقصى الدكتور طبانة جميع أوجه هذه القضايا ، أفضى في كل منها بصريح الرأي استناداً إلى قواعد

صدرت مجموعة من المعاجم الجديدة المعينة للنقلة والمترجمين منها معجم قانوني إنكليزي عربي من تصنيف الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب ونشر مكتبة لبنان و « القاموس الفريد في العصر الجديد » وهو معجم لغوي فارسي/عربي صنفه الشيخ أحمد النجفي وطبع في طهران ، و « معجم المصطلحات الإدارية » إنكليزي/عربي وقد ترجمه الأستاذ نبيه غطاس وصدر عن مكتبة لبنان .

ويصدر قريباً قاموس صيني/عربي من تصنيف الباحث العراقي الشيخ جلال الحفني .

« استأنفت « سلسلة الثقافة الإسلامية » بإشراف الأستاذ محمد عبد الله السمان ، صدورها بعد احتجاب طويل فأصدرت حلقة جديدة للكاتب الهندي الدكتور محي الدين الألواني عنوانها « الإسلام والقضايا الإنسانية » نشرتها مكتبة المتنبي بالقاهرة .

« ومن الدراسات الإسلامية التي صدرت أخيراً « مختصر زاد المعاد للإمام ابن قيم الجوزية » من تأليف الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وقد نشرته الشركة المتحدة للتوزيع في بيروت ، وكتاب « أربعة عشر قرناً مع القرآن الكريم » للأستاذ عبد الخالق سيد أبو رابية ونشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، و « هذا هو القرآن وهذا هو الإسلام » للأستاذ أحمد يوسف أحمد ونشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، و « الإسلام في آيب الوسطى بين الفتحين العربي والتركى » للدكتور حسن أحمد محمود ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « الدين عند الله » للأستاذ عبد الرحيم فودة بمقدمة لفصلية الأستاذ أحمد حسن الباقوري ونشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

« و « الاسراء والمعراج » للدكتور عبد الحليم محمود ونشر دار الشعب .

« أصدر العلامة الأستاذ علي أدهم ترجمة وافية للقاءات العربي « عبد الرحمن الناصر » درس فيها حياته وفتوحاته ومنجزاته دراسة بصيرة وأنصفه أجمل أنصاف . وقد صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في سلسلة « أعلام العرب » .

« ومن كتب السيرة التي صدرت حديثاً « السيدة زينب رضي الله عنها » تأليف الأستاذ محمود الشراوي ونشر دار الشعب ، وكتاب « ذكرى العودات : البدوي المثلث » وقد صدر في عمان عن لجنة تأبين هذا الفقيه الراحل .

« ويصدر قريباً في بغداد كتاب كبير عن العلامة الجغرافي الشهير « الشريف الإدريسي » من وضع الباحث المكي الدكتور أحمد سوسة ، وهو ثاني كتاب يصدر عن هذا العالم الجغرافي ، إذ سبقه كتاب نفيس للأديب الكبير الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

جاء في التعقيب الأخير للصدیق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، قوله نقلاً عن المعاجم التي رجع إليها ما يلي بحرفه : في العصور التالية - للتاريخ القديم - أصبحت كلمة « Moor » ، تشير إلى من هم مزيج من عنصر عربي العرب والبربر ، الذين يشكلون معظم سكان شمال غرب إفريقيا الذين فتحوا إسبانيا في القرن الثامن الميلادي .

وبناء على هذا التعريف يصح للمترجم أن يقول في ترجمة « Moor » مغربي أو عربي ، كما ورد في سياق مقالنا ، وكما أشار إليه تعقيب صديقنا المستفيض . واذن ، فلا خلاف بيننا إلا أنني أخذت الكلمة بمعنى « عربي » ، وأخذها الصديق بمعنى « مغربي » ولكل منا الحق في ما ذهب إليه بأجازه من المعاجم نفسها . ولكن الظاهر أن الصديق عزّ عليه خلاقي له ، ولعله قام بنفسه أنني ما اخترت تفسير الكلمة الأجنبية « Moor » بمعنى « عربي » إلا بدافع عاطفي يروق في عين المواطنين العرب الذين أكتب لهم . وأنا أبادر فأقول بادية ذي بدء أنني لا أجد في ذلك ما يعيب الكاتب العربي على الإطلاق ، فما بالك إذا كان لديه على ما يكتبه الأسانيد المؤيدة .

ومن القرائن المؤيدة ، أن هنالك من ارتأى مثل رأيي من غير العرب مثل الشاعر الفرنسي الكبير « ألفريد دي فيني - Alfred de Vigny » الذي احتفظ في عنوان ترجمته الشعرية لتراجيدية شكسبير بما يقابل كلمة « Moor » في اللغة الفرنسية وهو « More » ، ولكنه استعمل في ترجمة النصوص نفسها ما يدل على مفهومه لذلك اللفظ في قوله « هذا العربي - Cet Arabe » . وإلى هذا المفهوم ، ذهب الكثير من كبار المثاليين من مختلف الأجناس في ادائهم للدور « عطيل » على مسارحهم .

فاختياري وصف « العربي » الذي أخذت به لم يكن ارضاء للعرب ولنفسي فحسب ، بل في الوقت نفسه أخذاً بمفهوم صحيح اجازته المعاجم وأخذ به الكثير من الأجانب .

- وهو الأهم - كان أخذي بهذا المفهوم كزليل استناداً إلى دليل قاطع في أيدي القراء أجمعين ، هو ما قاله شكسبير على لسان « عطيل » في حديثه عن ذكرياته الأخيرة ذلك الحديث المؤثر الذي ختم به وهو القائد الأعلى في قبرص - حياته ، قبل أن يقتص من نفسه على قتله لزوجته البريئة الطاهرة ، بالانتحار في مخدعها على مشهد وسمع من بعض قومه . وهذا نص ما قاله « عطيل » :

رويدكم أقل كلمة أو كلمتين . لقد أدبت لجمهورية البندقية بعض الخدمات وهم يعرفونها ، فلا حاجة بي إلى الإفاضة في هذا الشأن . ولكني أرغب إليكم ، حين تقصون قصتي التعسة في رسائلكم ، أن تذكروني بحقيقي دون نقص يلفظ منها أو زيادة يملها القصد السيء . فإذا فعلتم ذلك ، وجب أن تصفوني في صورة رجل لم يعشق بتعقل ، ولكنه كان صادقاً أشد الصديق في عشقه ... رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده ، فلما تمكنت منه تمادى فيها إلى النهاية ... رجل رمت يده كالصعلوك بلولة غالية لا تعلها في القيمة كنوز قومه كلها ... رجل غلب الأسى على عينيه ولم يكن من شيمتهما البكاء ، فدرفت منهما الدموع كأغزر ما تدرفه أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافي . هكذا أرجو أن تصفوني . واضيفوا إلى ما تقدم ، أنني عندما كنت في « حلب » واعتدى تركي على رجل من رجالكم بالضرب المهين ممتنها دولتكم ، وثبت به وأخذت بمخنقه ، وضربت بخنجر عتقه هكذا (ويذبح عطيل نفسه) .

من يسمع أو يقرأ هذه الذكريات الأخيرة التي وردت على لسان « عطيل » ، يؤمن - لا محالة - مثلاً أنه يذكر في اللحظة الأخيرة ،

عطيل

شخصية عربية لا مغربية^(١)

التلّيل من كلام شكسبير على أن « عطيل »

الشخصية الشكسبيرية قد أراد لها مبدعها أن تكون عربية لا مغربية.

بلاد العزيزة ، بلاده القريبة من شبه جزيرة العرب ، انها — على وجه التخصيص — الشام الخاضعة للحكم التركي ، ويدل على ذلك ما ذكره عن مقامه في « حلب » — حلب الشهباء — عند اعتداء بعض الترك على أحد البنادقة أثناء زيارتهم لها ، قادمين من قبرص التي كانت تابعة لجمهورية البندقية . ولا حاجة بنا للإشارة الى أن جزيرة قبرص واقعة في شرق البحر الأبيض المتوسط ، فهي الى بلاد الشام العربية أقرب جدا منها الى بلاد المغرب .

فكيف يجوز لصديقنا العالم العربي وأمامه هذه الأسانيد القاطعة ، أن لا يؤمن بأن شكسبير مبدع شخصية « عطيل » في جملة ما أبدعه من الشخصيات المرموقة ، مثل « هملت » الدانمركي ، « وماكبث » وزوجته « الاسكتلنديين » و « روميو وجوليت » الايطاليين ... قد أراد لعطيل أن يكون شخصية عربية ، نشأت في حلب التي ذكرها أو من بلد عربي آخر من بلاد الشام أو غيرها ؟

بعد ذلك ، أن نذكر من طرائف **يبقى** ما ذكره صديقنا الأستاذ العطار ترديده على مسامع القراء « أن شكسبير نفسه قال أن عطيل مغربي ، وكذلك أشخاص المسرحية

يعرفونه بأنه مغربي ، و « ديدمونة » الزوجة التي أحبه ونسيت كل شيء الا حبسها تقول المغربي ، « متناسيا عن قصد ، أن هؤلاء جميعا انما كانوا يشيرون الى عطيل بالكلمة الانجليزية « Moor » وهي تعني « مغربي » كما تعني « عربي » كما سبق اقرار الصديق بذلك نقلا عن المعاجم .

قبيل المغالطات ، أن يورد الصديق هذه الحقيقة التي يعرفها الجميع عن مسرحيات شكسبير عامة ، لا مسرحية « عطيل » وحدها ، فيقول « ان قصة عطيل ليست خيالا محضا من صنع شكسبير ، وفضله فيها أنه نقلها بقلمه وأبداع في هندسة بناء القصة » .. يقول الصديق ذلك ليخلص بعده الى أن عطيل ما دامت قصته قد اقتبسها شكسبير من مجموعة قصص جمعها كاتب ايطالي ، فتكون « شخصية عطيل ليست شخصية شكسبيرية بحال من الأحوال » . وهذا ما لم يقله أحد في العالمين ممن قرءوا شكسبير ، لأن اقتباس موضوع القصة شيء غير الابداع في رسم شخصياتها كما يفعل شكسبير ، ومن ثمة ما نراه من تسميتها « شخصيات شكسبيرية » حتى التاريخية منها ، وذلك باجماع كل الناقدين في مغارب الأرض ومشارقها ، ونخص منهم بالذكر هنا الأستاذ العقاد في قوله :

« ان الأمر في رسالة شكسبير أكبر من أمر الترجمة عن الانسان ، وأكبر من أمر تصويره أو وصفه أو التعبير عنه . فليس من النادر أن نعرف انسانا ، فنصوره بصفة غالبية عليه ، أو نصوره بجميع صفاته التي يدركها عارفه . ولكن النادر أن نخلق صورة منه ندعها ماثلة في عالم الكتابة تعيش كما يعيش الأحياء ، وتحيا لو نفخ الله فيها روح الحياة ، فاذا هي نسخة أخرى من صاحبها في قوله وعمله ، في سره وعلنه ، وفي خاصة نفسه ، وفيما يرتبط به مع الناس من مجاورة في الشعور ومعاملة في الخير والشر والموالة والعداء .

فرق بين الشخصية ، وبين الحكاية عنها بالوصف أو بالتعبير .. وابداع الشخصية في عالم الفن ، هو رسالة « شكسبير » .

وهنا نتوقف . فقد قلنا ما يعيننا تصحيحه من تعقيبات الصديق العطار ، وأما ما عدا ذلك ، فنصرف النظر عنه . كما أنه يسرنا أن تكون كلمة عملاق أدبنا المصري الأستاذ العقاد هي مسك الختام . ونرجو أن يكون الصديق العزيز أحمد عبد الغفور العطار قد استمتع كما استمتعنا بهذا الحوار الأدبي الحار ، وأن يكون قد شاركنا في المتعة الأدبية سائر السادة القراء ■

(١) نختم بهذه المقالة النقاش الطويل الذي دار بين الأستاذ الراحل عبد الرحمن صدقي ، طيب الله ثراه ، وأحمد عبد الغفور عطار ، أمد الله في عمره ، حول شخصية عطيل .



بقلم الأستاذ الراحل عبد الرحمن صدقي

مع. قاي

الصحافة في المحجاز

الصحافة في المحجاز



تأليف : الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ
عرض وتعليق : الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

يمكن معرفة تاريخ الصحافة في المحجاز معرفة دقيقة الا عند بعض المختصين بالدراسات في هذا الموضوع ، ولم يكن ما لدى هؤلاء من العلم عن الصحافة في المحجاز الا اليسير ، وعندما كتب الأستاذ رشدي ملحم بحثه لم يكن دقيقاً فيه ، وإن كان له فضل السابقين ولعل خير ما ظهر للناس من البحوث بحث الأستاذ الكبير محمد سعيد العامودي الذي كتبه بعنوان « من تاريخ الصحافة في بلادنا » ، وبحث كتبه الأديب السيد ابراهيم هاشم فلالي ولم ينشره ، وفيه معلومات دقيقة ، وذكر في بحثه ان تاريخ الصحافة في المحجاز يدين لوالي المحجاز المصلح الكبير العادل عثمان نوري باشا ، وسرد أسماء بعض الصحف وعرفها تعريفاً دقيقاً .

وفي سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) كان السيد الفلالي قد أعد بعض بحوثه ومقالاته لتصدر في كتاب بعنوان « أين نحن اليوم ؟ » وبحث موضوعه « الصحافة في المحجاز » فلم يجده ، ولعله تركه مع أوراقه التي تركها بمكة المكرمة عندما غادرها الى مصر يتخذها دار غربته .

ومع ما كتب في تاريخ الصحافة في المحجاز فان موضوعه ما زال في حاجة الى مزيد من البحث العلمي ، حتى تصدى له الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ المدرس بكلية الآداب بجامعة الرياض فوقى البحث حقّه في كتابه المسمى « تاريخ الصحافة في المحجاز ١٩٠٨-١٩٤١ دراسة ونصوص » .

والدكتور الشامخ من أبناء المملكة النابغين ذوي العلم الغزير ، والثقافة الواسعة ، ومن الباحثين القلائل الذين يحسنون البحث .

وكتابه هذا يجمع في كل فصوله بين عمق البحث وسعة الاطلاع واستيعاب الموضوع وتحري الحق والصواب والدراسة الجادة والأسلوب الرائع .

وأدركت من قراءة كتابه أن منهجه كان شديد العسر عليه ، عظيم التكاليف الأدبية والمادية وهو منهج علمي لا يطيقه الا أمثاله من المفكرين والباحثين .

وقد حدد المؤلف خطة بحثه ومنهج عمله في مقدمة الكتاب ، اذ قال : « وقد حاولت في الصفحات التالية أن أدرس صحافة المحجاز دراسة تاريخية ، وأن أشير الى ما قامت به من دور في خدمة الحركة الفكرية والأدبية ، وحيث أن أعداد بعض هذه الجرائد - ولا سيما جرائد العهد العثماني - من الندرة بحيث لا يتيسر لعدد من القراء أن يطلعوا عليها فقد ألحق

كل باب من الأبواب الثلاثة التي تتكون منه هذه الدراسة بفصل يشمل نصوصاً من هذه الصحف تلقي أضواء على تاريخها ، وقد قدم لكل نص منها بمقدمة موجزة تبين أهميته ، وتشير الى ما فيه من حقائق تتصل بتاريخ هذه الصحافة » .

والفترة الزمنية التي حددها المؤلف في بحثه تقع في الفترة ما بين ١٩٠٨ و ١٩٤١ م ويكاد جانب أو جوانب كثيرة من هذه الفترة يكون محجوباً بالظلمة التي تحتاج الى جهد ضخم متصل الحلقات ممن يريد تبديدها حتى تنجلي الحقيقة المتوخاة بالنسبة لصحافة المحجاز في ابان طلعتها الأولى .

ومع أن العهد حديث فان الغموض يغشاها ، ومع أن جهوداً بذلت لتجليته فان الموضوع كان في حاجة الى المزيد من البحث والدراسة حتى تناوله الدكتور الشامخ فجلاه خير ما تكون التجلية . ولقد اتسع جهد الدكتور الشامخ حتى وسع المراجع التي لا تيسر الا للندرة من كبار الباحثين الدارسين الألى يتفوقون الجهد في سخاء وأريحية ، سواء أكان هذا الاتفاق للجهد الأدبي أم للجهد المادي ، فهو قد رجع الى من لديهم علم بموضوعه البكر ، فسألهم ، وبحث من مراجعه في مظانها بمكتبات مكة المكرمة حسناً الله ، ومكتبة جامعة الرياض ، ومكتبة الأبحاث العربية التابعة لأرامكو بالظهران ، ومكتبة معهد الادارة العامة بالرياض ، ومكتبة البلدية ومكتبة حقي طارق أس باستنبول .

وبعد أن استوفى المؤلف القدير بحثه في هذه المكتبات دفعته الصبوة الى المزيد من البحث والدراسة الى أن يوسع نطاقهما فشد رحاله الى نصف الكرة الغربي وبحث في مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، وفي مكتبة جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس ، ومكتبة جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية والذين يتهجون منهج الدكتور الشامخ في البحث والدراسة يدركون ضخامة جهده وما عانى وما أنفق ، وهو جهد نفتقده في غير عشاق المعرفة ، ويظهر أثر هذه الجهود الكبيرة في كتابه القيم .

ولكن بحثه في تاريخ الصحافة في المحجاز بحثاً على جانب كبير من الدقة والسعة والشمول ، وأن بحث الصحافة في تلك الفترة اقتضى بحث الطباعة ، وكتلتها حديثاً كل الحداثة في المحجاز ، ووفق الدكتور لبحث حركة الطباعة منذ نشأتها الأولى ، وكان بحثه اياها كفاء بحثه الصحافة في التوفيق والتسديد .

وقسم المؤلف كتابه الى ثلاثة أبواب ، يحوي كل باب فصلين ، ثم ختمه بأسماء المراجع وفهرس الجرائد والمجلات والكتب ، وفهرس الأعلام ، وفهرس المطابع والمؤسسات الصحفية .

وتنظيم الفهارس وحده جهد لا يستطيعه الا علماء ذوو بصيرة ثاقبة ومراعاة وخبرة ، ونهج المؤلف نهج من يتخذون اللقب قبل الاسم ، وأنا أؤثر تقديم الاسم على اللقب لأنه الأصل والأهم والأول وان جاز في بعض الأحوال تقديم اللقب على الاسم اذا غلب عليه أو اتفقا في الشهرة .

فالمؤلف يجعل «شكيب ارسلان» ، و «عبد الوهاب آشي» - على سبيل المثال - في حرف الألف ، لأنه اعتمد لقبيهما : آشي وارسلان .

ويفتح المؤلف الطلعة بحته العلمي بالباب الأول المنظوي على فصلين ، بحث في أحدهما عديدا من الموضوعات ، منها : مطبعة الولاية ، وصدر أول مطبوع دوري في الحجاز . وتاريخ صدور «حجاز» ، و «شمس الحقيقة» ، و «الاصلاح الحجازي» ، وفي الفصل الثاني - من الباب الأول - عني بذكر قانون المطبوعات والمطابع العثماني ، ونماذج من جريدة «حجاز» وافتتاحية العدد الأول منها الخ .

ويفتح المؤلف مادة كتابه بالفصل الأول من الباب الأول بعنوان «نشأة الصحافة في الحجاز» فيقول - تحت عنوان جانبي هو «مطبعة الولاية» : «كانت مطبعة الولاية التي أسست بمكة عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) في عهد والي الحجاز عثمان نوري باشا أول مطبعة تنشأ في الحجاز ، وقد جاء في الكتاب الدوري الرسمي لولاية الحجاز «حجاز ولايتي سالنامة سي» الذي صدر باللغة التركية في عام ١٣٠١هـ (١٨٨٣ أو ١٨٨٤م) ان عبد الغني أفندي كان حينئذ مديرا لهذه المطبعة» .

وهذا حق فأول مطبعة تقام في الحجاز هي هذه المطبعة التي أسست في سنة ١٣٠٠هـ بمكة المكرمة ، وكلمة «في عهد والي الحجاز عثمان نوري باشا» لا تحدد مؤسس المطبعة اذ يجوز أن يكون غير عثمان نوري باشا .

ولكن المؤلف نفسه يذكر في صفحة ١٦ من كتابه نصا يفهم منه أن عثمان نوري هو المؤسس ، والنص هو : «وقد أشار محرر الجريدة الرسمية «حجاز» في عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) الى ما أصاب المطبعة من اهمال فقال : «ان مطبعتنا التي هي أحد التذكارات المهمة

المتروكة للولاية من طرف المرحوم عثمان باشا والي الأسبق من حين تاريخ تأسيسها وبنائها وانفكاك والي المشار اليه من هنا» .

وأنا مطمئن الى أن عثمان نوري باشا هو الذي أسس المطبعة وشيد مبناها ، وقد سمعنا ذلك من أبي وجيلة ذلك ، ومن الثابت أن هذا والي كان من الولاة الصالحين العادلين في الحجاز .

وفي هامش «مرآة الحرمين» لابراهيم رفعت باشا ١ : ١٩٧ :

«ولي أمر الحجاز لأول مرة سنة ١٢٩٩هـ . وهو رجل ذكي شهم سياسي ، تحيل في القبض على الشريف عبد المطلب الذي هم بالخروج على الدولة فعزلته عن امانة مكة ، ولت مكانه عون الرفيق باشا ، وقد وثى هذا بعثمان نوري باشا لما أنه غل يده عن المكوس والمظالم التي كان يتقضاها من العربان والحجاج الخ . وعين واليا على اليمن ثم أعيد الى ولاية الحجاز ، وقد أصلح مجرى عين زبيدة وعمل فيها صنابير (حنفيات أو بازانات) . وهو الذي أنشأ ديوان الحميدية ودار البريد والشككات العسكرية بمكة وجدة ، وأنشأ سور ينبع» وفي «مرآة الحرمين» ١ : ١٩٧ :

«ان والي مكة المكرمة المشير عثمان نوري باشا كان قد أنشأ بالقرب من معسكر المحمل بستانا بهجة للناظرين ، فيه من الأشجار أجملها ، ومن الثمار أطيبها ، وإباحه لأهل مكة يتزهدون فيه ، ويستظلون بوارف ظله ، وكان أول ما أنشئ من متزهات» .

وتقرئ المؤلف عن الصحف التي صدرت في الحجاز منذ الحكم العثماني وعهد الشريف حسين وابنه الشريف علي ثم العهد السعودي الى سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) حديث الباحث العالم ، فوفى البحث حقه ، وأعطانا صورة واضحة صحيحة المعالم والمعلومات والسمات عن تلك الصحف .

أعطانا صورة صحيحة عن الصحف الصادرة في العهد العثماني من سنة ١٣٢٦-١٣٣٤هـ (١٩٠٨-١٩١٦م) وهي : «حجاز» و «شمس الحقيقة» ، و «الاصلاح الحجازي» ، و «صفاء الحجاز» و «الرقيب» و «المدينة المنورة» ، وعن الصحف التي صدرت في العهد الهاشمي من سنة ١٣٣٤-١٣٤٤هـ (١٩١٦-١٩٢٥م) وهي : «القبلة» ، و «الحجاز» و «الفلاح» ، و «بريد الحجاز» ، و «مجلة مدرسة جبرول الزراعية» .

من الصحف التي صدرت في العهد السعودي في الفترة التي تبدأ من سنة ١٣٤٣ - ١٣٦٠هـ (١٩٢٤ - ١٩٤١م) ومن ثلاث جرائد وثلاث مجلات ، والجرائد هن : «أم القرى» و «صوت الحجاز» بمكة المكرمة و «المدينة المنورة» بالمدينة المنورة ، والمجلات : «الاصلاح» و «النداء الاسلامي» بمكة ، و «المنهل» بالمدينة المنورة .

وبحث المؤلف العالم أثر الصحف التي صدرت في العهد العثماني في حياة الحجاز ، وناقش بعض الآراء فقال في (ص ٥٣ - ٥٤) : «لقد كانت سنة ١٩٠٨ بداية حقبة جديدة في تاريخ الحياة الفكرية في الحجاز ، اذ صدرت ست صحف محلية في الفترة ما بين ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ، واذا شهد الحجاز ورود جرائد عربية أخرى مما كان يصدر خارج ولاية الحجاز . أنه لا بد أن جمهور القراء في الحجاز قد تعرضوا حينئذ لتأثير فكري مفاجئ أحدثه اطلاعهم على عدة صحف محلية وخارجية كانت تمثل مصالح متنوعة ، وتعبير بجرأة وصراحة عن وجهات نظر مختلفة ..

«ومهما يكن فان أحمد علي ومحمد سعيد العامودي يتفان مثل هذا التأثير .

«يقول أحمد علي في حديثه عن قيمة كل من «حجاز» و «شمس الحقيقة» بأن : «ليس لهما أي أثر في البلاد ، انما تذكران بكونهما مبدأ تاريخ الصحف والصحافة بمكة» .

«وحين يلخص العامودي نتيجة عرضه الموجز لأكثر صحف هذه الفترة يؤكد بأنه : «لم يكن لهذه الصحف أية قيمة أدبية أو سياسية أو أي أثر في تكوين الوعي أو توجيه التفكير» .

«وحيث أنه لا يتصور ألا يكون لصحيفتين محليتين رائدتين هما «حجاز» و «شمس الحقيقة» أثر صحفي في بلد كانتا تخاطبان اهله وتعالجان شؤونه ، فانه من الواضح أن قول أحمد علي ما زال في حاجة الى مزيد من الأدلة» .

«أما بالنسبة لما قاله العامودي عن القيمة الأدبية لصحف هذه الفترة التي يبدو أنه لم ير بعضها ولم يطلع الا على أعداد قليلة من بعضها فاني لا أجرو على تقدير القيمة الأدبية لصحف لم أستطع الاطلاع على جزء منها ، ولكنه من الممكن أن يقال بأنه قد كان لجريدة «حجاز» - التي نفى العامودي قيمتها الأدبية ضمن ما نفى - أهمية أدبية واضحة» .

« لقد كان فيها ركن أدبي نشرت فيه قصائد لشعراء معاصرين كشوقي وحافظ ، وكانت تقدم هذه القصائد بمقدمات نقدية رصينة تدعو الى الاصاله في الأدب ، وتهاجم الشعراء المقلدين ، وتنادي الأدباء أن يتخذوا من شوقي - الذي مزج في شعره بين عناصر من الثقافتين الشرقية والغربية - مثالا يحتذى » .

« انه لا يجوز أن ينكر أن « حجاز » قد أسهمت في الحركة الأدبية الحديثة في الحجاز ان لم تكن قد ابتدأتها ، كيف لا وقد تبنت مثل هذه المفاهيم الأدبية الحديثة ودعت الى مثل هذه الأفكار الواعية ؟ » .

« أما بالنسبة لما فناه العامودي من أهمية صحف هذه الفترة من الوجهتين السياسية والاجتماعية فانه من الواضح أن « حجاز » و « شمس الحقيقة » و « الإصلاح الحجازي » كانت مشغولة أصلاً بالشؤون السياسية والاجتماعية وأنها كانت تدعو بحماس الى التطور الاجتماعي والتعليمي » .

« ولقد ثار بين « شمس الحقيقة » ، و « الإصلاح الحجازي » جدل سيامي عبرت فيه كل صحيفة عن آراء فئات معينة متنافسة » . « انه ليس من السهل تقدير مدى تأثير هذه الجرائد القديمة أو معرفة كمية توزيعها ، ولكن الشيخ نصيف وبكر شرف قد أكد اقبال الجمهور على بعضها واهتمامه الشديد بما كان يناقش فيها من موضوعات ، وما على المرء الا أن يتذكر كيف حاول الشريف حسين أن يمنع توزيع صحيفة من هذه الصحف ، وأن يشجع أخرى ليدرك مدى تأثير هذه الجرائد على الرأي العام في ذلك الوقت » .

« واعتماداً على هذه الحقائق فانه من الممكن أن يقال بأن آراء كل من أحمد علي والعامودي قد اتسمت بالتعميم ، وافتقرت الى الأدلة الواضحة » .

ولما مع الأستاذ الشامخ في رأيه ، وإذا كانت الحصا الصغيرة تؤثر في صفحة البحر فلا يعقل ان صحفا تصدر في بلد لا تترك فيه أي أثر في وقت بدأ فيه التفتح والوعي .

وأزيد أن مكة حرسها الله لن تستطيع أن تكون بمعزل عن الحركات العالمية أو العربية أو الاسلامية مهما أريد لها من العزلة .

فمكة لم تغلق قط في وجوه قاصديها من أقطار الاسلام والعروبة ومن الأقطار الغربية أيضا وليس كل القاصدين من العامة ، بل فيهم على الدوام والاستمرار أئمة الفكر وقادة مختلف

الحركات ، وكانوا يقصدون الى الحج والى منافع لهم ، فقد كانوا يأخذون من علماء مكة وفقهائها العلم .

ولما العلماء والشعراء بمكة كثيرين ، وكذلك المتعلمون وطلاب العلم ، وكل الناس يتشوقون الى الأخبار ، وليس أهل مكة والحجاز بشاذين ، وكانت الصحافة وسيلة الأخبار الفذة الى جانب الرواة القادمين للزيارة والحج والعائدين الى وطنهم من أهل الحجاز .

وطبيعي أن يكون للصحافة تأثير عظيم في الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية في الحجاز وأنا أدركت أبي ومثات من أبناء جيله كانوا أكثر شوقا الى المعرفة والى قراءة الصحف من أبناء عصرنا الذي عرف من وسائل الاعلام غير الصحافة .

وإذا كنت أوافق الدكتور الشامخ فيما ذهب اليه من تأثير هذه الصحف فاني لا أوافقه على قوله : « ليس من السهل تقدير مدى تأثير هذه الجرائد القديمة » إذ أرى من السهل هذا التقدير فمجتمع مكة كان مجتمعا صغيرا ، وكذلك كل مجتمعات المدن الحجازية - وكانت بيوت الكبراء والعلماء والأدباء وشيوخ الحي أشبه بالندوات ، وكان العامة يحضرونها ، وتتناول الأحاديث كل شؤون حياتهم وما يشغلهم منها ، وكانت الصحف تنشر ما يعرفون وما لا يعرفون ، وتنقل اليهم الجديد من الأخبار والعلوم والمخترعات مثل صحف هذه الأيام .

ولا يصعب تقدير آثار الصحافة في تلك الأيام اذا علمنا أن الكلمة المكتوبة كانت أكثر تقديرا من هذه الأيام ، والشوق الى الأخبار أشد ، ولم تكن للاعلام وسائل غير الصحف والرواة ، ولم يكن ما يشغل النفوس من التعلق ، وكان لدى الناس فراغ كثير .

ومنذ خمسين عاما صدرت جريدة « بريد الحجاز » بجدة وكنت أرى تهافت الناس عليها ، وكنت حينئذ بجدة مع والدتي واخوتي الكبار انتقلنا اليها أيام الحرب بين الاشراف والسعوديين ، ثم عدت الى أبي الذي أصر على البقاء بمكة ، وكانت الجريدة تصله كما كانت تصل الى غيره .

وهذه اللفتة كانت موجودة في العهد العثماني وانكار تأثير صحفه أو التقليل منه يناقض الواقع وطبيعة الناس وصبوتهم الى معرفة الأحداث والأخبار وفي العدد الثاني من جريدة « حجاز » الصادر في ١٥ شوال ١٣٢٦ هـ (١٠ نوفمبر ١٩٠٨ م) جاء :

« ان جريدتنا هذه نالت توجيهها عظيما من الأهالي أولئك الكرام الذين لم يروا الى اليوم بين ظهرانيهم عملا كهذا وجهته خدمة المعارف انها لم تكذب تظهر حتى لم تبق منها نسخة حيث بيع المطبوع جميعه في ظرف سويعات قليلة ، وتلك همة كبيرة ووطنية عالية من كرام الأهالي حقيقة بكل تبجيل ، واننا بمجرد ورود الورق وانتظام الشغل نكبر حجم الجريدة ، وربما أصدرناها ذات ثمانى صحائف ، كما لنا الأمل في اصدارها مرتين في الأسبوع (١) » .

ولما يمكن تصور صحافة بدون أثر مهما كانت الأمية متشرة وغالبة ، ولهذا لا أوافق الاستاذين الجليلين : العامودي وأحمد علي على رأيهما ، وأعتقد أن الآثار التي تركتها الصحافة في العهد العثماني آثار جلية ، ومنها أنها مهدت لقيام صحافة تستطيع أن تدخل المباراة مع صحافة الأقطار العربية ، وترجع عليها في أمور .

وجود الطباعة في العهد العثماني كان نقلة حضارية عظيمة الأثر ، وأسهمت مع مصر وغيرها في نشر الكتب العربية ، وقد نشرت مطبعة الولاية بمكة المكرمة كتباً كثيرة جهلها الناس بعد عهد طابعاتها ونذرة وجودها .

وأحسن الدكتور الشامخ ، إذ ذكر في كتابه القيم فهرسا بالكتب العربية والكتب التي صدرت باللغة الملايوية من مطبعة الولاية بمكة المكرمة نقلا عن « سالتامه ولاية الحجاز » التي نشرت في عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) قائمة تلك الكتب ، ومنها :

• « تسهيل المنافع في الطب والحكمة » ، للشيخ ابراهيم بن الأزرق ، وبهامشه كتاب « الطب النبوي » للامام الذهبي .


• « تنبيه الغافلين ، وبهامشه بستان العارفين لأبي الليث السمرقندي » .

• « الرسالة المسماة فتح القدير باختصار متعلقات نسك الأجير » .

• « تحفة الصبيان في الفقه على مذهب النعمان ، وبهامشه « كفاية الغلام » للنابلسي .

وكتاب الدكتور الشامخ « الصحافة في الحجاز » من الكتب العلمية التي لا تقرأ بعذر يفرضه موضوع البحث في الصحافة في فترات وعهود مختلفة ، لأن نزاهة البحث العلمي وتحرية الحق والانصاف والعدل يفيان ذلك الخنر ، ويضمنان الثقة بكتابه الذي يعد خير ما كتب في صحافة الحجاز حتى اليوم

أحمد عبد الغفور عطار - مكة المكرمة



الكهوف الأثرية في كابادوكيا

كابادوكيا (Cappadocia) منطقة غريبة والقيم ذات سمات أجنبية بارزة وتعاث على حكمها خمس الأجيال المزدودة ثم دولارات خلفت وراءها آثاراً رائعة من جبالها وتحتها معظمتها، والمسيق ومنها سوى الطلال على مآزرها وتكسر أهم الأحداث التي مرت بها على مر العصور الحديثة من تاريخها الطويل الذي امتد من القرن الرابع قبل الميلاد حتى ظهور الحكمة العثمانية.

وحي مقاطعة تقع في قلب آسيا الصغرى احتلها الكابادوشيون Cappadocians في عهد هيرودوتس - Herodutus ، اليوناني ، وتمتد من جبل « طوروس - Mount Tourus » حتى « يوكسين - Euxine » وهو ما يعرف اليوم ببحر مرمرة . وتشير الروايات التاريخية الى أن الفرس هم الذين أطلقوا اسم « كابادوشيا » على المنطقة أثناء سيطرتهم وبسط نفوذهم . واشتقوا اسمهم منها ، بينما كان اليونان يدعون سكان المنطقة بالسوريين البيض . كانت « كابادوشيا » أبان حكم آخر ملوك الفرس لها مجزأة الى قسمين أو اقليمين ،

تتكون الأول من الأجزاء الداخلية للمنطقة ، وقد ظلت هذه التسمية لاصقة بهم في كل ما كتبه المؤرخون الذين عاصروا تلك الحقبة من تاريخ « كابادوشيا » الطويل ، أما الاقليم الثاني فكان يشمل الأجزاء الجبلية الوعرة التي كانت تدعى « كاتا أوفوتوف - Kataiiovtov » أو « بتوس » . وكانت هذه التجزئة قائمة قبل وجود المؤرخ اليوناني « زينفين - Xenophon » الذي عاش في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد . وعلى الرغم من أن حدود « كابادوشيا » القديمة كانت غامضة المعالم فإن الموسوعة البريطانية تذكر أن طولها كان نحو ٢٥٠ ميلا وعرضها حوالي

١٥٠ ميلا ، يحدها من الجنوب جبال طوروس ، ومن الشرق نهر الفرات ، ومن الشمال بحر مرمرة أما المنطقة الغربية فكانت تلاصقها صحراء ملحية مترامية الأطراف تدعى « أكسيلون - Axylon » ويكثر في « كابادوشيا » الأماكن الوعرة التي ترتفع الى حوالي ثلاثة آلاف قدم عن سطح البحر ، وبها أيضا سهل مرتفع رطب يعتبر من أكبر السهول المرتفعة في آسيا الصغرى ، وكانت الأجزاء الغربية فيها والممتدة حتى سفوح جبال طوروس عبارة عن سهول فيسحة بل مراعي خصبة تجتذب اليها قطعان الماشية ، وتكثر في المنطقة الوسطى الجبال البركانية النائية

تكثر في سهول كابادوشيا الجبال المشي التي تكونت على مر السنين نتيجة تراكم الأتربة والحمم التي قذفها من باطن الأرض الجبال البركانية التي تملأ المنطقة .



والتي من بينها جبل « طوروس » الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ١٢٨٤٨ قدما، وجبل « حسن داج - Hasan Dag » الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ١٠٦٧٣ قدما .

ومن أبرز الآثار التاريخية التي تحتضنها مقاطعة « كابادوشيا » هيكل « كومانا - Comana » وهيكل « فيناسا - Venasa » . وقد راعى المسلمون في عهد « حاجي بكتاش - Haji Bektash » الأبقاء على هذه الأماكن التي خلفها الفرس واليونان ، أثناء سيطرتهم على مقاطعة « كابادوشيا » ، كما يوجد فيها عدد من الكنائس الأثرية القديمة .

وبالرغم مما كانت تتمتع به « كابادوشيا » من مكانة مرموقة في التاريخ القديم ، فإنها ، بخلاف غيرها من المناطق الأخرى في آسيا الصغرى ، كانت على قدر ضئيل من الثراء ، وذلك بسبب طبيعة أرضها الوعرة وكثرة جبالها ووديانها الضيقة السحيقة مما حال دون ازدهارها من الناحيتين الزراعية والعمرانية .

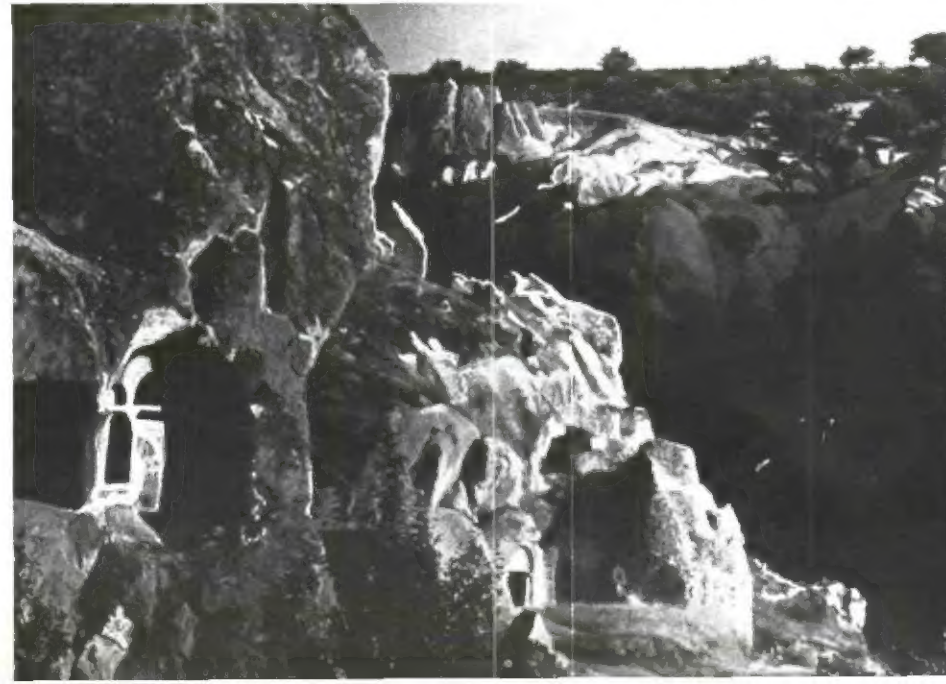
ومن أشهر الأودية في كابادوشيا وادي « جوريم - Goreme » وهو ضيق سحيق تحيط به الكهوف المعلقة على سفوح الجبال المنتشرة على شكل أقراص النحل تضيء على الوادي رونقا وجمالا ..

ان تركيا وهي ما كانت تدعى قديما آسيا الصغرى غنية بالتكوينات الطبيعية المثيرة والسهول المليئة بالجبال الهشة التي تكونت نتيجة تراكم الحمم والرمال التي قذفت بها الجبال البركانية فاتخذت بذلك أشكالا وأنماطا هندسية غريبة . وكان من تأثير قوة الرياح وغزارة الأمطار التي تهطل على مقاطعة « كابادوشيا » أن تضافرت هذه العوامل الطبيعية واستطاعت على مر السنين أن تحدث في الجبال ما يشبه الاهرامات والمدائن والاقماع وغيرها من الأشكال الهندسية الجميلة وبالإضافة الى هذا الجمال الطبيعي الذي تتمتع به مقاطعة « كابادوشيا » توجد هناك كهوف ومعالم أثرية أخرى تعتبر فريدة في نوعها . وتنتشر بعض هذه الكهوف والمعالم في مجموعة من القرى المتناثرة بمحاذاة وادي « جوريم » ومن أبرزها « أرجوب - Urgup » ، « أفسلار - Avcilar » « ويوشيسار - Uchisar » ، « أورزاهيسار - Ortahisar » ، وهي عبارة عن بيوت يطلق عليها رجال الأبحاث « المساكن الكهوفية » ، كما يوجد ثمة أنواع أخرى من الكهوف على



تنتشر الكهوف والأقبية في الجبال المحيطة بوادي جوريم في « كابادوشيا » وهي من نحت الشعوب والأمم التي استوطنت المنطقة في الأزمان القديمة .

خلفت الأمم والشعوب التي استوطنت المنطقة الكثير من الآثار البارزة ، وأهمها الهياكل التي قامت بنحتها في الجبال المحيطة بالوادي .





نماذج أخرى من الجبال الهشة المتعددة الأشكال بالقرب من سطح أحد الجبال البركانية بمحاذاة أحد السهول الخصبة في المنطقة والتي كانت مرتما لأعداد كبيرة من الماشية . تصوير : ويليام تريسي

طوال أيام الحصار ، أو عندما يضطرون للعودة إلى كهوفهم أثناء تعرضهم لأي من الغزوات العاتية .

وهكذا عاشت كبادوشيا حقبة من الزمن خلال القرن الثالث عشر بلغت المنطقة أبانها درجة كبيرة من التقدم والازدهار ، لكنها كانت فترة قصيرة ما لبثت أن تلاشت تدريجيا حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم ، غير أن الآثار الطبيعية والمعالم الأثرية الجميلة التي خلفتها ستظل مع مرور الزمن صورة عاكسة لتلك الحقبة التاريخية التي عاشتها « كبادوشيا » في العصور الغابرة

■ يعقوب سلام - الظهران

وقد قام سكان هذه الكهوف في العهود الماضية بنحت المقاعد والطاولات والمواقد وغيرها من مستلزمات الحياة في ذلك العصر كما قاموا أيضا بنحت القبور داخل الكهوف لدفن موتاهم وكذلك شقوا ممرات عبر الصخور حتى يتسنى لهم الوصول إلى الغرف والحجرات المنحوتة في الجبل وأحدثوا فيها محاور للتهوية عن طريق نحت حجارة مسطحة ضخمة يستطيع رجل واحد من الداخل دحرجتها لإغلاق المدخل ، بينما يتعذر على عدد من الرجال إزاحتها عن مكانها من الخارج . ومن ناحية أخرى ، فقد كانوا يتخذون من هذه الكهوف ملاجئ يأوون إليها

شكل أقيية يستخدمها الفلاحون في تخزين محاصيل العنب والفاكهة التي يجنونها من الحقول ذات التربة الرملية البيضاء . وقد قام الفلاحون بنحت كهوف أخرى لهم فوق الكهوف التي يسكنونها واستخدموها حظائر للحيوانات وأبراجا للحمام . لكن أكثرها إثارة تلك الأقيية والهاياكل التي نحتها المستوطنون الذين قطنوا تلك المقاطعة في العصور الماضية ، وكانت جميعها على الطراز البيزنطي ذات الأشكال المتقاطعة الجميلة تزينها الأعمدة والقباب ، كما كانت أحيانا منحرفة قليلا لأنها كانت جزءا من الجبل الذي نحتت فيه .

البحر العربي
نهر برد
البحر العربي
نهر برد



بازارچه المفتحه والورد واليانفة تنشر على سفوح تلال بجران..
تصوير: علي مرعيطه «فيما، جنوب»

